فصـــل

[السؤال السابع]

قال السائل : « نرى فى دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه فى دينكم كالزنا واللواط والخيانة والحسد ، والبخل ، والغدر والتجبر والتكبر والخيلاء . وقلة الورع واليقين وقلة الرحمة والمروءة والحمية[1] ، وكثرة الهلع ، والتكالب على الدنيا ، والكسل فى الخيرات ، وهذا الحال يكذب لسان المقال » اهـ .

والجواب من وجوه :

الوجه الأول : أن يقال : ماذا على الرسل الكرام من معاصى أممهم وأتباعهم ؟! وهل يقدح ذلك شيئاً فى نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم ؟! وهل سُلِم من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ؟! وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعصية بعض أتباعهم لهم ؟! وهل هذا إلا من أقبح التعنت ؟

وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب ينال به غاية عافيته ، فقال : لو كنتَ طبيباً لم يكن فلان وفلان مرضى .

وهل يلزم الرسل أن يشفوا جميع المرضى بحيث لا يبقى فى العالم مريض ؟ هل تعنت أحد من الناس للرسل بمثل هذا التعنت ؟

الوجه الثانى : أن الذنوب والمعاصى أمر مشترك بين الأمم لم تزل فى العالم من طبقات بنى آدم عالمهم وجاهلهم وزاهدهم فى الدنيا وراغبهم وأميرهم ومأمورهم ، وليس ذلك أمراً اختصت به هذه الأمة حتى يقدح به فيها وفى نبيها .

الوجه الثالث : أن الذنوب والمعاصى لا تنافى الإيمان بالرسل ، بل يجتمع فى العبد الإسلام والإيمان والذنوب والمعاصى ، فيكون فيه هذا وهذا .. فالمعاصى لا تنافى الإيمان بالرسل وإن قدحت فى كماله وتمامه .

الوجه الرابع : أن الذنوب تغفر بالتوبة النصوح ، فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء وعدد الرمل والحصا ثم تاب منها تاب الله عليه ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : ٥٣] ، وهذا فى حق التائب ؛ فإن التوبة تَجُبُّ ما قبلها ، « **والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** »[2] ، والتوحيد يكفر الذنوب ، كما فى الحديث الصحيح الإلهى : « ابن

---

(١) الحَمِيَّة : الأنفة ، والمحافظة على المحرم والدين من التهمة .

(٢) حسن . ابن ماجه فى الزهد . باب ذكر التوبة [٤٢٥٠] والسيوطى فى الجامع الصغير [١/١٣٧] وصحيح الجامع للألبانى [٣٠٠٨] .

آدم لو لقيتنى بِقُرَاب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة »[1].

فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحدين ، ويقوى التوحيد على محو آثارها بالكلية[2]، وإلا فما معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم .

وأما المشركون والكفار فإن شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم ، فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة ، ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ١١٦] ، وقال تعالى فى حق الكفار والمشركين : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ [الفرقان : ٢٣] ، وقال رسول الله ﷺ : « **أبى الله أن يقبل من مشرك عملاً** »[3].. فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح ، والتوحيد الخالص ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة لها ، وشفاعة الشافعين فى الموحدين ، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار ؛ وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فإنه يحبط جميع الحسنات بحيث لا تبقى معه حسنة .

الوجه الخامس : أن يقال لمورد هذا السؤال ـ إن كان من الأمة الغضبية إخوان القردة ـ ألا يستحى من إيراد هذا السؤال مَنْ آباؤه وأسلافه كانوا يشاهدون فى كل يوم من الآيات ما لم يره غيرهم من الأمم ؟

وقد فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى : ﴿ **اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، ولما ذهب لميقات ربه لم يمهلوه أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ ، وغلب أخوه هارون معهم ولم يقدر على الإنكار عليهم ، وكانوا مع مشاهدتهم تلك الآيات والعجائب يهمون برجم موسى وأخيه هارون فى كثير من الأوقات والوحى بين أظهرهم !! ولما ندبهم إلى الجهاد قالوا : ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [المائدة : ٢٤] ، وآذوا موسى أنواع الأذى حتى قالوا : إنه آدر ـ أى منتفخ الخصية ـ ولهذا يغتسل وحده ، فاغتسل يوماً ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فعدا خلفه عرياناً حتى نظر بنو إسرائيل إلى عورته فرأوه أحسن خلق الله متجرداً[4].

ولما مات أخوه هارون قالوا : إن موسى قتله وغيبه . فرفعت الملائكة لهم تابوته بين السماء

---

(١) صحيح . مسلم فى الذكر والدعاء . باب فضل الذكر والدعاء ، والتقرب إلى الله تعالى [٢٢] .

(٢) عبارة المخطوطة « ذنوبهم ذنوب موحد إن قوى التوحيد على .. » والصواب ما أثبتناه .

(٣) حسن . ابن ماجه فى الحدود . باب المرتد عن دينه [٢٥٣٦] والنسائى فى الزكاة . باب من سأل بوجه الله عز وجل [٨٢/٥ ، ٨٣] وأحمد فى المسند [٥/٥] والحاكم فى المستدرك [٦٠٠/٤] وصحيح الجامع [٧٧٤٨] والسلسلة الصحيحة [٣٦٩] .

(٤) انظر تفسير ابن كثير [٥٢٠/٣ ، ٥٢١] وقصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار [ص ٢٨١ - ٢٨٩] .

والأرض حتى عاينوه ميتاً[1]، وآثروا العود إلى مصر وإلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء والعدس . هكذا عندهم[2].

والذى حكاه الله عنهم أنهم آثروا ذلك على المن والسلوى .

وانهماكهم على الزنا وموسى بين أظهرهم وعدوهم بإزائهم حتى ضعفوا عنهم و لم يظفروا بهم ، وهذا معروف عندهم ، وعبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون معروف[3]، وتحيلهم على صيد الحيتان فى يوم السبت لا تنسه ، حتى مسخوا قردة خاسئين[4] ، وقتلهم الأنبياء بغير حق حتى قتلوا فى يوم واحد سبعين نبياً ، فى أول النهار وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنماً وذلك أمر معروف ، وقتلهم يحيى بن زكريا ، ونشرهم إياه بالمنشار ، وإصرارهم على العظائم ، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة ، ورميهم لوطاً بأنه وطىء ابنتيه وأولدهما ، ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشق له الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب[5] . وهذا لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام و لم يقض غرضه .

وطاعتهم للخارج على ولد سليمان بن داود لما وضع لهم كبشين من ذهب فعكفت جماعتهم على عبادتهما ، إلى أن جرت الحرب بينهم وبين المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان ، وقتل منهم فى معركة واحدة ألوف مؤلفة[6].

أفلا يستحى عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم ؟! أو لا تستحى ذرية قتلة الأنبياء من تعيير المجاهدين لأعداء الله ؟! فأين ذرية مَنْ سُيُوف آبائهم تقطر من دماء الأنبياء ممن تقطر سيوفهم من دماء الكفار والمشركين ؟! وألا يستحى من يقول فى صلاته لربه :

---

(١) انظر تفسير ابن كثير [٣/٥٢٠] وقصص الأنبياء [٢٨٣ ، ٢٨٥] .

(٢) سفر الخروج : الإصحاح السادس عشر . وانظر قصص الأنبياء [ص ٢١٠ ، ٢١١] وتفسير ابن كثير [١/١٠١ ، ١٠٢] .

(٣) سفر القُضَاة [٢ : ١١-٣] . [٣ : ٥ - ١٥] [٨ : ٣٣ - ٣٥] ، [١٠ : ٦ - ١٦] .

(٤) سفر التثنية [٥ : ١٢ - ١٥] والخروج [٢٠ : ٨ - ١٢] [٣٥ : ٢ ، ٣] وفيما يختص بمسخهم فإن ابن كثير فى تفسيره بعد أن يستعرض الآراء المختلفة فى تفسير قوله تعالى : «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» يقول : «والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم إنما كان معنويا لا صوريا بل الصحيح أنه معنوى صورى والله تعالى أعلم» [١/١٠٦ ، ١٠٧] بينما يذهب ابن عطية فى تفسيره إلى أن مسخهم قردة هو الأقوى [١/٣٠٨ ، ٣٠٩] .

(٥) لم تذكر التوراة شيئا من ذلك ، بل إن كل ما سردته بخصوص هم امرأة العزيز بيوسف لا يخرج عما ورد فى القرآن الكريم .

(٦) سفر الملوك الأول [١٢ : ٢٥ - ٣٣] وفيما يختص بالحروب بين رحعام بن سليمان ويربعام بن ناباط الخارج عليه انظر سفر أخبار الأيام الثانى : من الإصحاح العاشر حتى الإصحاح الرابع عشر .

« انتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك » ، ينخيه بذلك ويحميه ، من تعيير مَنْ يقول فى صلاته : ﴿ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصا والرمال والتراب والأنفاس ما بلغت مبلغ قتل نبى واحد ولا وصلت إلى قول إخوان القردة : ﴿ إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] ، وقولهم : ﴿ عُزَيْرُ ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وقولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة : ١٨] .

وقولهم : « إن الله بكى على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت الملائكة تعوده » ، وقولهم : « إنه عض أنامله على ذلك » ، وقولهم : « إنه ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأى من معاصيهم وظلمهم » وأعظم من ذلك نسبة هذا كله إلى التوراة التى أنزلها على كليمه . فلو بلغت ذنوب المسلمين ما بلغت لكانت فى جنب ذلك كتفلة[1] فى بحر .

ولا تنس قصة أسلافهم مع شاؤل الخارج على داود ، فإن سوادهم الأعظم انضم إليه وشدوا معه على حرب داود ، ثم لما عادوا إلى طاعة داود وجاءت وفودهم وعساكرهم مستغفرين معتذرين بحيث اختصموا فى السبق إليه فنبغ منهم شخص ونادى بأعلى صوته : « لا نصيب لنا فى داود ولا حظ فى ابن يسى ، ليمض كل منكم إلى خبائه يا إسرائيليين » فلم يكن بأوشك من أن ذهب جميع عسكر بنى إسرائيل إلى أخبيتهم بسبب كلمته ، ولما قتل هذا الصائح عادت العساكر جميعها إلى خدمة داود ، فما كان القوم إلا مثل همج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصى !![2]

فصل
دِينُ اليَهُود

وهذه « **الأمة الغضبية** » وإن كانوا مفترقين افتراقاً كثيراً فيجمعهم فرقتان « القراؤون والربانيون » وكان لهم أسلاف فقهاء وهم صنفوا لهم كتابين : أحدهما يسمى « **المشنا** » ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة ، والثانى يسمى « **الجمارا** »[3] ومبلغه قريب من نصف حمل بغل ، ولم يكن المؤلفون له فى عصر واحد وإنما ألفوه فى جيل بعد جيل ، فلما نظر متأخروهم

(١) النَّفل : القليل . يقال : ما أصاب منه إلا تفلاً : أى طفيفاً .

(٢) القصة التى ذكرها المؤلف وردت فى سفر الملوك الأول وفى أخبار الأيام الثانى ، حدثت بين يربعام بن نباط وبنى إسرائيل من جانب ورحبعام بن سليمان جانب آخر [الملوك الأولى ١٢ : ٣ ، ١٢/٤ : ١٤ - ١٦/ الأيام الثانى ١٠/٣ ، ٤/ ١ : ١٥ ، ١٦] وعلى عكس ما ذكر المؤلف فإن بنى إسرائيل قد تفرقوا حتى اليوم . [الملوك الأولى ١٢ : ١٩/ الأيام الثانى ١٠ : ١٩] .

(٣) فى الطبعة « التلمود » والصواب ما أثبتناه ، انظر التعليق الآتى .

إلى ذلك وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه ، وفى الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيراً من أوله ، علموا أنهم إن لم يقفلوا باب الزيادة وإلا أدى إلى الخلل الفاحش فقطعوا الزيادة وحظروها على فقهائهم وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوقف الكتاب على ذلك المقدار[1] .

وكان فقهاؤهم قد حرموا عليهم فى هذين الكتابين مؤاكلة من كان على غير ملتهم ، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبائح من لم يكن على دينهم ، لأنهم علموا أن دينهم لا يبقى عليهم مع كونهم تحت الذل والعبودية وقهر الأمم لهم إلا أن يصدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم ، وحرموا عليهم مناكحتهم والأكل من ذبائحهم ، ولم يمكنهم ذلك إلا بحجة يبتدعونها من أنفسهم ويكذبون فيها على الله .

فإن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم لئلا يوافقوا أزواجهم فى عبادة الأصنام والكفر بالله[2] ، وإنما حرمت عليهم أكل ذبائح الأمم التى يذبحونها قرباناً للأصنام لأنه سمى عليها غير اسم الله[3] فأما ما ذكر عليه اسم الله وذبح لله فلم تنطق التوراة بتحريمه البتة بل نطقت بإباحة أكلهم من أيدى غيرهم من الأمم ، وموسى إنما نهاهم عن مناكحة عباد الأصنام خاصة وأكل ما يذبحونه باسم الأصنام .

قالوا : التوراة حرمت علينا أكل « الطريفا » ، قيل لهم : « الطريفا » هى الفريسة التى يفترسها الأسد أو الذئب أو غيرهما من السباع . كما قال فى التوراة : « ولحم فى الصحراء فريسة لا تأكلوا ، للكلاب تطرحونه »[4] .

فلما نظر فقهاؤهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم إلا عباد الأصنام وصرحت التوراة بأن تحريم مؤاكلتهم ومخالطتهم خوف استدراج المخالطة إلى المناكحة ، والمناكحة قد تستتبع الانتقال من دينهم إلى أديانهم وموافقتهم فى عبادة الأوثان ووجدوا جميع هذا واضحاً فى التوراة اختلقوا كتاباً سموه « هلكث شحيطا » وتفسيره « علم الذباحة » ،

---

(١) ومنهما أى المشنا والجمارا يتكون التلمود وهو « الكتاب العقائدى الذى وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودى وتعاليمه » أو هو « كتاب شرائع وآداب إسرائيل » . وتبدأ القصة عندهم باختلاق خطير !! فقد زعم أحبارهم العتاة أن الله تعالى أوحى إلى موسى الكليم عليه السلام ، وهو بطور سيناء ، نوعين من الوحى : الأول : الشريعة المكتوبة (أسفار التوراة) . والثانى : الشريعة المكررة (التعاليم الشفهية) وهى تعاليم سرية - فى زعمهم - وتتضمن التفسير الحقيقى الصحيح الذى يعنيه الله ويريده من النصوص الظاهرة المكتوبة فى أسفار التوراة . ويزعمون أن هذه التعاليم تناقلت شفاهاً عن موسى عبر أربعين جيلاً حتى انتهت إلى « يهوذا هاناسى » فدونها خشية ضياعها وسميت : « المشناة » [كلمة عبرية بمعنى المعرفة والدرس] ثم عكف الأحبار على شرحها فى أورشليم ، وفى بابل ، وسميت الشروح باسم : « الجمارا » [الجمارا معناها الشرح أو الإكمال] ومن المتن وشرحه جاء ما يعرف بالتلمود بنوعيه الأورشليمى والبابلى . [انظر من التلمود ص ٧ - ١٢ ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٣٧ - ٣٩ والعقيدة اليهودية ص ١٦٩ - ١٧٢] .

(٢) انظر سفر الخروج [٢٣ : ٢٤] ، تثنية [٤ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٥/٢٨ : ٧ - ١٢/٩ : ١٩ - ٣١] .

(٣) خروج [٣٤ : ١٥ ، ١٦] .

(٤) خروج [٢٢ : ٣١] ونصه « ولحم فريسة فى الصحراء لا تأكلوا . للكلاب تطرحونه » .

ووضعوا فى هذا الكتاب من الآصار[1] والأغلال ما شغلوهم به عما هم فيه من الذل والصغار والخزى ، فأمروهم فيه أن ينفخوا الرئة حتى يملؤوها هواء ويتأملونها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا فإن خرج منها الهواء حرموه ، وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه ، وأمروا الذى يتفقد الذبيحة أن يدخل يده فى بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرموه ولم يأكلوه وسموه « **طريفا** » .

ومعنى هذه اللفظة عندهم أنه نجس حرام ، وهذه التسمية عدوان منهم ؛ فإن معناها فى لغتهم هى الفريسة التى يفترسها السبع ليس لها معنى فى لغتهم سواه ، ولذلك عندهم فى التوراة أن إخوة يوسف لما جاءوا بقميصه ملطخاً بالدم قال يعقوب فى جملة الكلام : « طاروف طوراف يوسيف » تفسيره : « وحش ردىء أكله افتراساً افترس يوسف »[2] ، وفى التوراة : « ولحم فى الصحراء فريسة لا تأكلوا » .

فهذا الذى حرمته التوراة من « الطريفا » وهذا نزل عليهم وهم فى التيه وقد اشتد قرمهم[3] إلى اللحم فمنعوا من أكل الفريسة والميتة ، ثم اختلفوا فى خرافات وهذيانات تتعلق بالرئة وقالوا : ما كان من الذبائح سليماً من هذه الشروط فهو « دخيا » وتفسيره طاهر ، وما كان خارجاً عن ذلك فهو « طريفا » وتفسيره نجس حرام ، ثم قالوا : معنى قوله فى التوراة : « ولحم فريسة فى الصحراء لا تأكلوا للكلاب تطرحونه » ، يعنى إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم ، قالوا : ومعنى قوله : « وللكلاب تطرحونه » أى لمن ليس على ملتكم فهو الكلب فأطعموه إياه بالثمن ، فتأمل هذا التحريف والكذب على الله وعلى التوراة وعلى موسى .

ولذلك كذبهم الله على لسان رسوله فى تحريم ذلك فقال فى السورة المدنية التى خاطب فيها أهل الكتاب : ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ** ﴾ الآية . [النحل : ١١٤ ، ١١٥] .

وقال فى سورة الأنعام : ﴿ **قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ،**

---

(١) الآصار : مفردها : الإصْر وهو الثِّقل .

(٢) سفر التكوين [٣٧ : ٣٣] ونصه : « وحش ردىء أكله . افتُرِسَ يوسف افتراساً » .

(٣) يقال : قَرِمَ اللحم ، وإليه : اشتدت شهوته إليه فهو قَرِمٌ .

وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٥ ، ١٤٦] . فهذا تحريم زائد على تحريم الأربعة المتقدمة ، وقال فى سورة النحل وهى بعد هذه السورة نزولاً : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [النحل : ١١٨] ، فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن .

فلما نظر « القراؤون »[1] منهم وهم أصحاب عنان وبنيامين إلى هذه المحالات الشنيعة والافتراء الفاحش والكذب البارد على الله وعلى التوراة وعلى موسى ، وأن أصحاب « الجمارا والمشنا »[2] كذابون على الله وعلى التوراة وعلى موسى ، وأنهم أصحاب حماقات ورقاعات[3] ، وأن أتباعهم ومشايخهم يزعمون أن الفقهاء منهم كانوا إذا اختلفوا فى مسألة من هذه المسائل وغيرها يوحى الله إليهم بصوت يسمعونه « الحق فى هذه المسألة مع الفقيه فلان » ويسمون هذا الصوت : « بث قول » فلما نظر « القراؤون » إلى هذا الكذب المحال قالوا : قد فسق هؤلاء ، ولا يجوز قبول خبر فاسق ولا فتواه ، فخالفوهم فى سائر ما أصلوه من الأمور التى لم ينطق بها نص التوراة . وأما تلك الترهات التى ألفها فقهاؤهم الذين يسمونهم « الحاخاميم » فى علم الذباحة ورتبوها ونسبوها إلى الله فأطرحها القراؤون كلها وألغوها ، وصاروا لا يحرمون شيئاً من الذبائح التى يتولون ذبحها البتة ولهم فقهاء أصحاب تصانيف إلا أنهم يبالغون فى الكذب على الله ، وهم أصحاب ظواهر مجردة ، والأولون أصحاب استنباط وقياسات . والفرقة الثانية يقال لهم : « الربانيون »[4] ، وهم أكثر عدداً وفيهم الحاخاميم الكذابون على الله الذين زعموا أن الله كان يخاطب جميعهم فى كل مسألة بالصوت الذى يسمونه « بث قول » وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم ، فإن الحاخاميم أوهموهم بأن الذبائح لا يحل منها إلا ما كان على الشروط التى ذكروها ، فإن سائر الأمم لا تعرف هذا وإنه شيء خصوا به وميزوا بهم عمن سواهم ، وإن الله شرفهم به كرامة لهم ، فصار الواحد منهم ينظر إلى من ليس على نحلته كما ينظر إلى الدابة ، وينظر إلى ذبائحه كما ينظر إلى الميتة .

فصل : وأما « القراؤون » فأكثرهم خرجوا إلى دين الإسلام ونفعهم تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها إلى أن لم يبق منهم إلا القليل لأنهم أقرب استعداداً لقبول الإسلام لأمرين :

---

(١) فرقة تنسب إلى رجل يقال له : عنان بن داود ظهر فى القرن الثامن الميلادى فى بغداد ، وقد رفضت هذه الفرقة التلمود وتعاليم الحاخامات واكتفت بما ورد فى التوراة دون تفسير . [انظر الفصل فى الملل والأهواء لابن حزم ٨٢/١ ، والملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل ٤٥/٢] .

(٢) فى المخطوط « وأن أصحاب التلمود المشنا » والصواب ما أثبتنا .

(٣) الرُّقاعة : الحماقة وضعف العقل ، وتستعمل فيما ينشأ عنها من قلة الحياء والصفاقة .

(٤) الربانية هم الأشعنية ، وهم القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم ، وهم جمهور اليهود .

أحدهما : إساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله وطعنهم عليهم .

الثانى : تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها وإبطال معانيها .

وأما أولئك « الربانيون » فإن فقهاءهم وحاخاميمهم حصروهم فى مثل سَمِّ الخياط[1] بما وضعوا لهم من التشديدات والآصار والأغلال المضافة إلى الآصار والأغلال التى شرعها الله عقوبة لهم ، وكان لهم فى ذلك مقاصد **منها** : أنهم قصدوا بذلك مبالغتهم فى مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم فيؤدى اختلاطهم بهم إلى موافقتهم والخروج من السبت واليهودية .

القصد الثانى : أن اليهود مبددون فى شرق الأرض وغربها وجنوبها وشمالها ، كما قال تعالى : ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أُمَمًا** ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

وما من جماعة منهم فى بلدة إلا إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة فى دينه والمبالغة فى الاحتياط ، فإن كان من فقهائهم شرع فى إنكار أشياء عليهم يوهمهم قلة دينهم وعلمهم ، وكلما شدد عليهم قالوا : هذا هو العالم ، فأعلمهم أعظمهم تشديداً عليهم ، فتراه أول ما ينزل عليهم لا يأكل من أطعمتهم وذبائحهم ، ويتأمل سكين الذباح ويشرع فى الإنكار عليه ببعض أمره ، ويقول : لا آكل إلا من ذبيحة يدى ، فتراهم معه فى عذاب ، ويقولون : هذا عالم غريب قدم علينا فلا يزال ينكر عليهم الحلال ويشدد عليهم الآصار والأغلال ويفتح لهم أبواب المكر والاحتيال ، وكلما فعل هذا قالوا : هذا هو العالم الربانى والحاخيم الفاضل ، فإذا رآه رئيسهم قد مشى حاله وقبل بينهم مقاله وزن نفسه معه فإذا رأى أنه ازدرى به وطعن عليه لم يقبل منه ، فإن الناس فى الغالب يميلون مع الغريب وينسبه أصحابه إلى الجهل وقلة الدين ، ولا يصدقونه لأنهم يرون القادم قد شدد عليهم وضيق ، وكلما كان الرجل أعظم تضييقاً وتشديداً كان أفقه عندهم ، فينصرف عن هذا الرأى فيأخذ فى مدحه وشكره ، فيقول : لقد عظم الله ثواب فلان إذ قوى ناموس الدين فى قلوب هذه الجماعة ، وشيد أساسه ، وأحكم سياج[2] الشرع ، فيبلغ القادم قوله فيقول : ما عندكم أفقه منه ولا أعلم بالتوراة ، وإذا لقيه يقول : لقد زين الله بك أهل بلدنا ، ونعش بك هذه الطائفة .

وإن كان القادم عليهم حبراً من أحبارهم فهناك ترى العجب العجيب من الناموس الذى تراه يعتمده والسنن التى يحدثها ، ولا يعترض عليه أحد ، بل تراهم مسلمين له ، وهو يحتلب دَرَّهم[3] ويجتلب درهمهم .

---

(١) السَّم : كل ثقب ضيق كثقب الإبرة والأنف والأذن . والخياط : آلة الخياطة ، كالإبرة ونحوها . وسم الخياط : ثقبه .

(٢) سِيَاج : سور من شوك أو حائط أو غير ذلك .

(٣) احتلب الشاه ونحوها : حلبها أى استخرج ما فى ضرعها من لبن . والدُّرُّ : اللبن ، أو الكثير منه .

وإذا بلغه عن يهودى طعن عليه ، صبر عليه حتى يرى منه جلوساً على قارعة الطريق يوم السبت أو يبلغه أنه اشترى من مسلم لبناً أو خمراً أو خرج عن بعض أحكام « المشنا ، والجمارا » فحرمه بين ملأ اليهود وأباحهم عرضه ونسبه إلى الخروج عن اليهودية ، فيضيق به البلد على هذه الحال ، فلا يسعه إلا أن يصلح ما بينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال ، فيقول لليهود : إن فلاناً قد أبصر رشده ورجع للحق وأقلع عما كان فيه وهو اليوم يهودى على الوضع ، فيعودون له بالتعظيم والإكرام !!

من شرائع اليهود

وأذكر لك مسألة من مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ تعرف بمسألة « اليباما والجالوس » وهي أن عندهم فى التوراة : « إذا أقام أخوان فى موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا تصير امرأة الميت إلى رجل أجنبى بل حموها ينكحها ، وأول ولد يولدها ينسب إلى أخيه الدارج ، فإن أبى أن ينكحها خرجت متشكية إلى مشيخة قومه قائلة : قد أبى حموى أن يستبقى اسماً لأخيه فى بنى إسرائيل ولم يرد نكاحى ، فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول : ما أردت نكاحها ، فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق فى وجهه وتنادى عليه : كذا فليصنع بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه . ويُدعى فيما بعد بالمخلوع النعل ، وينتبز بنوه بهذا اللقب »[1] .

وفى هذا كَالتَّلجئة له[2] إلى نكاحها ، لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة وعليه ذلك فربما استحيا وخجل من شَيْل نعله من رجله والبصق فى وجهه ونبزه باللقب المستكره الذى يبقى عليه وعلى أولاده عاره ولم يجد بداً من نكاحها ، فإن كان من الزهد فيها والكراهة لها بحيث يرى أن هذا كله أسهل عليه من أن يبتلى بها وهان عليه هذا كله فى التخلص منها لم يكره على نكاحها ، هذا عندهم فى التوراة . ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو : أن يكون مريداً للمرأة محباً لها وهى فى غاية الكراهة له ، فأحدثوا لهذا الفرع حكماً فى غاية الظلم والفضيحة فإذا جاءت إلى الحاكم أحضروه معها ولقنوها أن تقول : إن حموى لا يقيم لأخيه اسماً فى بنى إسرائيل ، ولم يرد نكاحى ، وهو عاشق لها فيلزمونها بالكذب عليه وأنها أرادته فامتنع فإذا قالت ذلك ألزمه الحاكم أن يقوم ويقول : ما أردت نكاحها ـ ونكاحها غاية سؤله وأمنيته ، فيأمرونه بالكذب عليها ـ فيخرج نعله من رجله إلا أنه لا مَسْك هنا ولا ضرب بل يبصق فى وجهه وينادى عليه : هذا جزاء من لا يبنى بيت أخيه .

فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتى أقاموه مقام الخزى وألزموه بالكذب والبصاق فى وجهه

---

(١) سفر التثنية [٢٥ : ٥ - ١٠] .

(٢) كالتلجئة : يقال : لجأه إلى كذا : ألجأه أى عصمه . ويقال : ألجأه من الشيء : حصّنه فى ملجأ منه .

والعتاب على ذنبه جره غيره ، كما قيل :

وُجرْمٍ جَرَّه سُفهاءُ قومَ وَحلَّ بغيرِ جَارِمِه العذَابُ[1]

أفلا يستحى من تعيير المسلمين مَنْ هذا شَرْعهُ ودينه ؟!

إذلال لليهود وطمس لمعالم دينهم

ولا يستبعد اصطلاح الأمة الغضبية على المحال واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال ، فإن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها ودرست معالم دينها وآثارها ، وتعذر الوقوف على الصواب الذى كان عليه أولوها وأسلافها ؛ لأن زوال الدولة عن الأمة إنما يكون بتتابع الغارات وخراب البلاد وإحراقها وجلاء أهلها عنها ، فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها إلى أن تستحيل رسوم دياناتها وتضمحل أصول شرعها وتتلاشى قواعد دينها ، وكلما كانت الأمة أقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال والصغار كان حظها من اندراس دينها أوفر ، وهذه الأمة الغضبية أوفر الأمم حظاً من ذلك ، فإنها أقدم الأمم عهداً ، واستولت عليها سائر الأمم من الكلدنيين والبابليين والفرس واليونان والرومان . والرومان الذين تنصروا ، وما من هذه الأمم أمة إلا وقصدت استئصالهم وإحراق كتبهم وتخريب بلادهم ، حتى لم يبق لهم مدينة ولا جيش ولا حصن إلا بأرض الحجاز وخيبر فأعز ما كانوا هناك ، فلما قام الإسلام « واستعلن الرب تعالى من جبال فاران » صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبى وتخريب الديار ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم ، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فكتب الله عليهم الجلاء وشتتهم ومزقهم بالإسلام كل ممزق ، ومع هذا فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين ولا آمن ، فإن الذى نالهم من النصارى والفرس وعباد الأصنام لم ينلهم من المسلمين مثله ، وكذلك الذى نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا فى طلبهم وعبدوا الأصنام ، أحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها وتعظيم رسومها فى العبادة وبنوا لها البيع والهياكل[2] وعكفوا على عبادتها وتركوا لها أحكام التوراة وشرع موسى أزمنة طويلة وأعصاراً متصلة ، فإذا كان هذا شأنهم مع ملوكهم فما الظن بشأنهم مع أعدائهم أشد الأعداء عليهم كالنصارى الذين عندهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه وصفعوه وبصقوا فى وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وكالفرس والكلدانيين وغيرهم .

---

(١) هذا البيت للشاعر المعروف أبى الطيب المتنبى .

(٢) البِيَع : معابد النصارى .. والهياكل لها أكثر من معنى : فهو بيت الأصنام ، والبيت الضخم المقدس يشيده اليهود لإقامة الشعائر الدينية .. وموضع فى صدر الكنيسة يقرب فيه القربان .

وكثيراً ما منعهم ملوك الفرس من الختان وجعلوهم قلفاً ، وكثيراً ما منعوهم من الصلاة لمعرفتهم بأن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار وعلى بلادهم بالخراب إلا أرض كنعان ، فلما رأوا أن صلاتهم هكذا منعوهم من الصلاة ، فرأت اليهود أن الفرس قد جدوا فى منعهم من الصلاة فاخترعوا أدعية مزجوا بها صلاتهم سموها « الخزانة » وصاغوا لها ألحاناً عديدة وصاروا يجتمعون على تلحينها وتلاوتها ، والفرق بين الخزانة والصلاة أن الصلاة بغير لحن ويكون المصلى فيها وحده ، والخزانة بلحن يشاركه غيره فيه ، فكانت الفرس إذا أنكروا ذلك عليهم قالت اليهود : نحن نغنى وننوح على أنفسنا فيخلون بينهم وبين ذلك ، فجاءت دولة الإسلام فأمنوا فيها غاية الأمن ، وتمكنوا من صلاتهم فى كنائسهم ، واستمرت الخزانة سنة فيهم فى الأعياد والمواسم والأفراح وتعوضوا بها عن الصلاة[1] .

والعجب أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم ومسخ أسلافهم قردة لقتلهم الأنبياء وعدوانهم فى السبت وخروجهم عن شريعة موسى والتوراة وتعطيلهم لأحكامها يقولون فى كل يوم فى صلاتهم « محبة الدهر » : (أحبنا يا إلهنا ! ويا أبانا ! أنت أبونا منقذنا) .

ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه ، وأنهم سيقيم الله لهم نبياً من آل داود إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود ، وهو بزعمهم المسيح الذى وعدوا به ، وينبهون الله بزعمهم من رقدته فى صلاتهم ، وينخونه ويحمونه ، تعالى الله عن إفكهم وضلالهم علواً كبيراً .

وضلال هذه الأمة الغضبية وكذبها وافتراؤها على الله ودينه وأنبيائه لا مزيد عليه .

وأما أكلهم الربا والسحت والرشا ، واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت ، وشدة الحرص على الدنيا ، وقسوة القلوب ، والذل والصغار ، والخزى ، والتحيل على الأغراض الفاسدة ، ورمى البرآء بالعيوب ، والطعن على الأنبياء .. فأرخص شيء عندهم ، وما عيروا به المسلمين مما ذكروه ومما لم يذكروه فهو فى بعضهم وليس فى جميعهم ونبيهم وكتابه ودينه وشرعه برىء منه ، ما عليه من معاصى أمته وذنوبهم ، فإلى الله إيابهم وعلى الله حسابهم[2] .

---

(١) لمزيد من التفصيل عن تاريخ اليهود قديما وحديثا انظر : العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية للدكتور سعد الدين صالح ص ٤٥ – ١٠٧ . ونهاية إسرائيل والصهيونية للأستاذ عبد الحميد واكد . وبروتوكولات حكماء صهيون ترجمة : الأستاذ محمد خليفة التونسى ، والصهيونية غير اليهودية . للاستاذة ريجينا الشريف (سلسلة عالم المعرفة) . إلى غير ذلك من المراجع .

(٢) لمزيد من التفصيل عن عقائد اليهود المستمدة من تلمودهم انظر : من التلمود ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، والعقيدة اليهودية ، الباب الثالث ص ٢٧١ – ٣٤٠ ، والكنز المرصود فى قواعد التلمود . مترجم عن الفرنسية والتلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ، وبذل المجهود فى إفحام اليهود لشموائيل بن يهوذا ، ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد .

فصل
دِيـــن النَّصَـــارَىٰ

وإن كان المُغَيِّر للمسلمين من أمة الضلال وعباد الصليب والصور المدهونة فى الحيطان والسقوف فيقال له : ألا يستحى من أصل دينه الذى يدين به اعتقاده : « أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسى عظمته وعرشه ودخل فى فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض ، فالتحم ببطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو[1] وبول ودم طمث ، ثم خرج إلى القماط[2] والسرير كلما بكى ألقمته أمه ثديها . ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان ، ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه ؛ وصفعهم قفاه ، وبصقهم فى وجهه ، ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصبة فى يده ؛ استخفافاً به وانتهاكاً لحرمته . ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه ، فشدوه عليه وربطوه بالحبال ، وسمروا يديه ورجليه ، وهو يصيح ويبكى ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب » .

هذا وهو الذى خلق السموات والأرض ، وقسم الأرزاق والآجال ؛ ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن فى الجحيم ، ويفدى أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس ؛ فإن روح آدم وإبراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت فى سجن إبليس فى النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه[3] .

مريم العذراء فى تصور النصارى

وأما قولهم فى « مريم » فإنهم يقولون : إنها أم المسيح ابن الله فى الحقيقة ، ووالدته فى الحقيقة ، لا أم لابن الله إلا هى ، ولا والدة له غيرها ، ولا أب لابنها إلا الله ، ولا ولد له سواه ، وإن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء ، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها ، ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله ، وولدت ابنه الذى لا ابن له فى الحقيقة غيره ، ولا والد له سواه ، وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها ، وابنها عن يمينه[4].

---

(١) تَلَبَّط فى أمره : تحير . ويقال : تلبط فلان : اختلط عليه أمره . والنَّجْو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط .

(٢) القِمَاط : خرقة عريضة يُلَّف بها المولود .

(٣) فيما يختص بقضية الفداء والصلب .. الخ انظر كتاباً قيماً لعالم مسيحى هداه الله إلى الإسلام بعنوان « هل المسيح بشر أم إله » للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٤) ما قرره النصارى (اليعاقبة والملكانية) بشأن مريم العذراء ، وقولهم إنها أم الإله يرجع إلى مجمع أفسس الأول الذى انعقد سنة ٤٣١ م بسبب مناداة نسطور بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية . وبالتالى فإن اللاهوت لم يولد ولم يصلب ، كذلك فإن مريم – فى رأيه – ليست والدة الإله ، وإنما هى أم يسوع المسيح . بناءً على ذلك قرر المجمع تحريم بدعة =

والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق ، وصحة البدن ، وطول العمر ، ومغفرة الذنوب ، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده ـ الذى يعتقد عامتهم أنه زوجها ، ولا ينكرون ذلك عليهم ـ سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً ، ويقولون فى دعائهم : « يا والدة الإله اشفعى لنا » ! وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة .

حتى إن « اليعقوبية » يقولون فى مناجاتهم لها : « يا مريم يا والدة الإله كونى لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً » .

« والنسطورية »[1] يقولون : « يا والدة المسيح كونى لنا كذلك » ، ويقولون لليعقوبية[2] : « لا تقولوا : يا والدة الإله وقولوا : يا والدة المسيح » ، فقالت لهم اليعقوبية : « المسيح عندنا وعندكم إله فى الحقيقة فأى فرق بيننا وبينكم فى ذلك ؟ ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم فى التوحيد » .

هذا .. والأوقاح الأرجاس من هذه الأمة تعتقد أن الله سبحانه اختار مريم لنفسه لولده ، وتخطاها كما يتخطى الرجل المرأة .

قال النظام بعد أن حكى ذلك عنهم : « وهم يفصحون بهذا عند من يثقون به » ..

قد قال من الأخشيد هذا عنهم فى « المعونة » ، وقال : « إليه يشيرون ، ألا ترون أنهم يقولون : من لم يكن والداً يكون عقيماً والعقم آفة وعيب ، وهذا قول جميعهم وإلى المباضعة يشيرون ، ومن خالط القوم وطاولهم وباطنهم عرف ذلك منهم » . فهذا كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له .

= نسطور وأضاف إلى قانون الإيمان ما يلى : « نعظمك يا أم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة ، والدة الإله ، لأنك ولدت لنا مخلص العالم ، أتى وخلص نفوسنا ، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح ، فخر الرسل ، إكليل الشهداء ، معلم الصديقين ، ثبات الكنائس ، غفران الخطايا ، نبشر بالثالوث المقدس ، لاهوت واحد ، نسجد له ، ونمجده ، يارب ارحم ، يارب ارحم ، يارب بارك ، آمين » .

[انظر الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ١/٤٨٣ - ٤٩٥] والعذراء فى التاريخ الكنسى ص ٥٣ للقس يوسف أسعد .

(١) تنسب هذه الفرقة إلى نسطور الحكيم وكان بطريركا على القسطنطينية وقد خالف نسطور اليعاقبة والملكانية فى طبيعة المسيح ، فالمسيح - فى رأيه - ذو طبيعتين ، اللاهوت والناسوت وإحداهما منفصلة عن الأخرى ، وبالتالى فإن مريم ليست والدة الإله ، بل والدة الإنسان ، هذا الرأى أدى إلى انعقاد مجمع أفسس سنة ٤٣١ م وقرر لعنه وطرده من الكنيسة وخلعه . أما نسطور فلما استقر فى ديره لم يفتأ ينفث سمه فيما حوله فنفاه الملك إلى أخميم من صعيد مصر حيث أدركته المنية . [الخريدة النفيسة ١/٤٨٣ - ٤٩٥] .

(٢) أتباع يعقوب البراذعى الذى عاش فى القرن السادس الميلادى وكان يرى أن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، مما أدى إلى وقوع الخلاف بين اليعاقبة والملكانية ، فعقد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م للفصل بينهما ، فقرر رفض عقيدتهم فى المسيح . فانفصلت الكنيسة اليعقوبية عن الكنيسة الملكانية . ولا تعترف الكنيسة اليعقوبية بمجمع خلقيدونية ولا بقراراته . [الخريدة النفيسة ١/٥١٠ وما بعدها] .

ولهذا قال فيهم أحد الخلفاء الراشدين : « أهينوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر » .

وقد أخبر النبى ﷺ عن ربه فى الحديث الصحيح أنه قال : « **شتمنى ابن آدم لم يكن له ذلك ، وكذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، أما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأما تكذيبه إياى فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من إعادته** »[1] .

فلو أتى الموحدون بكل ذنب وفعلوا كل قبيح وارتكبوا كل معصية ما بلغت مثقال ذرة فى جنب هذا الكفر العظيم برب العالمين ، ومسبته هذا السب ، وقول العظائم فيه .

فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعله بهم إذا لقوه ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [آل عمران : ١٠٦]، ويسأل المسيح على رؤوس الأشهاد وهم يسمعون ﴿ **يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ** ﴾ ؟ فيقول المسيح مكذباً لهم ومتبرئاً منهم : ﴿ **سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيسَ لِى بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، وَكُنتُ عَلَيهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

فصل : فهذا أصل دينهم وأساسه الذى قام عليه . وأما فروعه وشرائعه فهم مخالفون للمسيح فى جميعها[2]، وأكثر ذلك بشهاداتهم وإقرارهم ولكن يحيلون على البتاركة والأساقفة ، فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة ، ويغتسل من الجنابة ، ويوجب غسل الحائض . وطوائف النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب ، وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة يبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر ، والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلى كذلك وصلاته صحيحة تامة عنده ، ولو تغوط وبال وهو يصلى لم يضره فضلاً عن أن يفسو أو يضرط ، ويقولون : إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة ، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين . ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه ، وهذه الصلاة رب العالمين برىء منها ، وكذلك المسيح

---

(١) صحيح . البخارى فى بدء الخلق . باب ما جاء فى قول الله تعالى ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق** .. ﴾ [٦/٣٣١] وفى التفسير . سورة الصمد [٨/٦١١ ، ٦١٢] .

(٢) فيما يتعلق بهذه الشرائع ، انظر سفر أعمال الرسل وكتاب « **الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام** .. » [٤/٣٩٦ - ٤٣٧] .

وسائر النبيين ؛ فإن هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة ، وحاشا المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الحواريين .

والمسيح كان يقرأ فى صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرؤونه فى صلاتهم من التوراة والزبور ؛ وطوائف النصارى إنما يقرؤون فى صلاتهم كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم ، يجرى مجرى النوح والأغانى فيقولون : هذا قداس فلان وهذا قداس فلان ، ينسبونه إلى الذين وضعوه ، وهم يصلون إلى الشرق ، وما صلى المسيح إلى الشرق قط ، وما صلى إلى أن توفاه الله إلا إلى بيت المقدس ، وهى قبلة داود والأنبياء قبله ، وقبلة بنى إسرائيل[1] ، والمسيح اختتن وأوجب الختان كما أوجبه موسى وهارون والأنبياء قبل المسيح . والمسيح حرم الخنزير ، ولعن آكله ، وبالغ فى ذمه ـ والنصارى تقر بذلك ـ ولقى الله ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة ؛ والنصارى تتقرب إليه بأكله . والمسيح ما شرع لهم هذا الصوم الذى يصومونه قط ولا صامه فى عمره مرة واحدة ولا أحد من أصحابه ، لا صام صوم العذارى فى عمره ، ولا أكل فى الصوم ما يأكلونه ولا حرم فيه ما يحرمونه ، ولا عطل السبت يوماً واحداً حتى لقى الله ، ولا اتخذ الأحد عيداً قط ، والنصارى تقر أنه رق مريم المجدلية فأخرج منها سبع شياطين[2]، وأن الشياطين قالت له : « أين ناوى ؟ » فقال لها : « اسلكى هذه الدابة النجمة »[3] يعنى الخنزير .

فهذه حكاية النصارى عنهم بوهم يزعمون أن الخنزير من أطهر الدواب وأجلها ، والمسيح سار فى الذبائح والمناكح والطلاق والمواريث والحدود سيرة الأنبياء قبله .

وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد فى الدنيا أبداً ولا عذاب فى الآخرة ؛ لأن القس والراهب يغفره لهم فكلما أذنب أحدهم ذنباً أهدى للقس هدية أو أعطاه درهماً أو غيره ليغفر له به .

وإذا زنت امرأة أحدهم بَيَّتَها عند القس ليطيبها له فإذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قَبِلَ ذلك منها وتبرك به[4]!

---

(١) لم يحدد موسى فى التوراة جهة معينة يتجهون إليها فى صلاتهم وحجهم ، لكن اليهود السامريون جعلوا جبل جيرزيم قبلة لهم . بينما جعل العبرانيون جبل صهيون قبلة لهم وقد كان بيت المقدس مبنياً على جبل صهيون ، والمسيح على أساس أنه من اليهود العبرانيين كان يتجه مثلهم إلى جبل صهيون المبنى فوق بيت المقدس . [السقا] .

(٢) نصه فى لوقا : « مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين » [لوقا ٨ : ٢] .

(٣) انظر تفاصيل القصة فى لوقا [٨ : ٢٦ - ٣٣] .. « وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى فى الجبل . فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها . فأذن لهم فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت فى الخنازير » .

(٤) كل التشريعات التى يسير عليها النصارى ليست من تعاليم المسيح ، لكنها ترجع إلى بولس الرسول واسمه (شاول) كان من ألد أعداء المسيحية الأول ، وله دور خطير فيها ، فهو مخترع المسيحية الحالية وواضع عقائدها. من أهم هذه العقائد تأليه المسيح والقول بالتثليث ، وأن صلب المسيح تكفير عن خطيئة آدم وفداء للبشر ، وأن عيسى هو الذى يحاسب البشر يوم القيامة وليس

النصارى يناقضون اليهود

وهم يقرون أن المسيح قال : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلى ، وما جئت ناقضاً بل متمماً ، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ، ومن نقض شيئاً من ذلك يدعى ناقضاً فى ملكوت السماء »[1] ، وما زال هو وأصحابه كذلك إلى أن خرج من الدنيا ، وقال لأصحابه : « اعملوا بما رأيتمونى أعمل ، وارضوا من الناس بما أرضيتكم به ، ووصوا الناس بما وصيتكم به ، وكونوا معهم كما كنت معكم ، وكونوا لهم كما كنت لكم » .

وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم فى التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة .

فرأوا اليهود قد قالوا فى المسيح : إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زنية. فقالوا : هو إله تام وهو ابن الله !! ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان ! ورأوهم يبالغون فى الطهارة فتركوها جملة ! ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها ! ورأوهم يحرمون الخنزير ، فأباحوه وجعلوه شعار دينهم ، ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة ، وقالوا : كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج ، ورأوهم يستقبلون بيت المقدس فى الصلاة فاستقبلوا هم الشرق . ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها ، فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا ويحللوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا ، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه ، ورأوهم ينفرون من الصليب ، فإن فى التوراة : « ملعون من تعلق بالصليب »[2] والنصارى تقر بهذا ، فعبدوا هم الصليب .

كما أن فى التوراة تحريم الخنزير نصاً فتعبدوا هم بأكله ، وفيها الأمر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع إقرار النصارى بأن المسيح قال لأصحابه : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة ووصايا

= الله .. إن من أهم ما يؤكد أهمية دور بولس خطورته ما ذكره داعية العصر الأستاذ/ أحمد ديدات فى كتابه « مسألة صلب المسيح » قائلاً : « إن صاحب كتاب « الخالدون مئة هم القمم الشامخة فى التاريخ » مايكل م . هارت يعتبر – وهو على الأرجح مسيحى – محمداً نبى الإسلام على رأس المئة والأسباب قوية . ولأسباب قوية أيضا يضع المؤلف عيسى عليه السلام وهو الذى يعتبر سيد البشر ومخلص البشرية من آثامها فى نظر كل الأمريكيين من مواطنيه تقريبا ، فى المرتبة الثالثة » أما المؤسس الحقيقى للمسيحية – فى نظر مايكل – فإنه بولس « ومن هنا كانت المرتبة الثالثة لعيسى عليه السلام . وكل مسيحى يعتز بديانته يعتبر أن المؤسس الحقيقى للمسيحية هو القديس بولس ، وليس عيسى المسيح عليه السلام] . [مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء صـ ٨] .

(١) متى [٥ : ١٧ – ٢٠] .

(٢) سفر التثنية [٢١ : ٢٣] .

الأنبياء قبلى ، وما جئت ناقضاً بل متمماً ، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى » .

فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة فى مكايدة اليهود ومغايظتهم وانضاف إلى هذا السبب ما فى كتابهم المعروف عندهم « **بافر كسيس** »[1] أن قوماً من النصارى خرجوا من بيت المقدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام فدعوا الناس إلى دين المسيح الصحيح ، فدعوهم إلى العمل بالتوراة وتحريم ذبائح من ليس من أهلها ، وإلى الختان وإقامة السبت ، وتحريم الخنزير وتحريم ما حرمته التوراة ، فشق ذلك على الأمم واستثقلوه ، فاجتمع النصارى ببيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليجيبوهم إلى دين المسيح ويدخلوا فيه ، فاتفق رأيهم على مداخلة الأمم والترخيص لهم والاختلاط بهم ، وأكل ذبائحهم ، والانحطاط فى أهوائهم ، والتخلق بأخلاقهم وإنشاء شريعة تكون بين شريعة الإنجيل وما عليه الأمم وأنشأوا فى ذلك كتابًا ، فهذا أحد مجامعهم الكبار[2] .

وكانوا كلما أرادوا إحداث شيء اجتمعوا مجمعاً افترقوا فيه على ما يريدون إحداثه إلى أن اجتمعوا المجمع الذى لم يجتمع لهم أكبر منه فى عهد قسطنطين الرومى ابن هيلانة الحرانية الفندقية[3] ، وفى زمنه بدل دين المسيح وهو الذى أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد ، وكان عدتهم زهاء ألفى رجل ، فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ، ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم ــ والنصارى يسمونهم الآباء ــ فقرروا هذا التقرير الذى هم عليه اليوم ، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لا يتم لأحد منهم نصرانية إلا به ، ويسمونه « **سنهودس** » وهى « **الأمانة** » !

خيانة لا أمانة

ولفظها : « نؤمن بالله الآب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدته ، وأخذ

(١) هو سفر أعمال الرسل .

(٢) نصه كما ورد فى سفر أعمال الرسل : « الرسل والمشايخ والإخوة يهدون سلاما إلى الإخوة الذين من الأمم فى أنطاكية وسورية وكيليكية . إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم ، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس . رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح . فقد أرسلهما يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون كونوا معافين » [أعمال ١٥ : ٢٣ - ٢٩] .

(٣) هو مجمع نيقية . وسيتحدث المؤلف فيما بعد بالتفصيل عن مجامعهم كاملة .

وصلب ، وقتل أيام بيلاطيس البنطى ، ومات ودفن ، وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونؤمن بالروح القدس روح الحق الذى يخرج من أبيه روح محبته ، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية ، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين »[1] .

فصرحوا فيها بأن المسيح رب وأنه ابن الله ، وإنه بكره ليس له ولد غيره ، وأنه ليس بمصنوع .. أى ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق ، وأنه إله حق استل[2] وولد من إله حق ، وأنه مساو لأبيه فى الجوهر ، وأنه بيده أتقنت العوالم ، وهذه اليد التى أتقنت العوالم بها عندهم هى التى ذاقت حر المسامير كما صرحوا به فى كتبهم .

وهذه ألفاظهم ، قالوا : « وقد قال القدوة عندنا : إن اليد التى سمرها اليهود فى الخشبة هى اليد التى عجنت طين آدم وخلقته ، وهى اليد التى شبرت السماء ، وهى اليد التى كتبت التوراة لموسى » ! قالوا وقد وصفوا صنيع اليهود به وهذه ألفاظهم : « وإنهم لطموا الإله وضربوه على رأسه » . قالوا : « وفى بشارة الأنبياء به أن الإله تحبل به امرأة عذراء وتلده ويؤخذ ويصلب ويقتل » ![3] ، قالوا : وأما « سنهودس » دون الأمم ، قد اجتمع عليه سبعمائة من الآباء وهم القدوة وفيه : « أن مريم حبلت بالإله وولدته وأرضعته وسقته وأطعمته » ..

قالوا : « وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه ، وابن ولده إبراهيم وربه وخالقه ورازقه ، وابن إسرائيل وربه وخالقه ورازقه ، وابن مريم وربها وخالقها ورازقها » .

قالوا : « وقد قال علماؤنا ومن هو القدوة عند جميع طوائفنا : اليسوع فى البدء ولم يزل كلمة ، والكلمة لم تزل الله ، والله هو الكلمة ، فذاك الذى ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله » ، هذه ألفاظهم ، قالوا : « فالقديم الأزلى خالق السموات والأرض هو الذى عاينه الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم ، وهو الذى حبلت به مريم وخاطب الناس من بطنها حيث قال للأعمى : أنت تؤمن بابن الله ؟ قال الأعمى : ومن هو حتى أومن به ؟ قال : هو المخاطب لك ، ابن مريم ، فقال : آمنت بك وخر ساجداً »[4] .

---

(١) انظر النص الكامل فى : الجواب الصحيح لابن تيمية [٢/٣١٩] والبداية والنهاية [٢/١٠٢] والخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة [١/٢٩٣ ، ٢٩٤] . والمختار فى الرد على النصارى للجاحظ [ص ٤٥] والنصيحة الإيمانية [ص ٦٨ ، ٦٩] .

(٢) سَلَّ الشىء من الشىء : انتزعه وأخرجه برفق . واستل الشىء : سَلَّه .

(٣) يشير بذلك إلى ما ورد فى إشعياء الإصحاح السابع وسيرد تعليق على هذه القضية فى تفسير النصارى لكلمة « عما نوئيل » .

(٤) انجيل يوحنا [٩ : ٣٥ - ٣٨] .

قالوا : « فالذى حبلت به مريم هو الله وابن الله ، وكلمة الله »قالوا : « وهو الذى ولد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكتفت يداه سمر وبصق فى وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لأجل خلاص النصارى من خطاياهم » .

قالوا : « وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبى ولا عبد صالح بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة » .

قالوا : « وليس مع أمه بمعنى الخلق ، التدبير ، اللطف والمعونة ، فإنه لا يكون لها بذلك مزية على سائر الإناث ولا الحيوانات ولكنه معها بحبلها به واحتواء بطنها عليه ؛ فلهذا فارقت إناث جميع الحيوانات وفارق ابنها جميع الخلق ، فصار الله وابنه الذى نزل من السماء وحبلت به مريم وولدته إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً ورباً واحداً وخالقاً واحداً لا يقع بينهما فرق ولا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه لا فى حبل ولا فى ولادة ولا فى حال نوم ولا مرض ولا صلب ولا موت ولا دفن بل هو متحد به فى حال الحبل ، فهو فى تلك الحال مسيح واحد وخالق واحد وإله واحد ورب واحد ، وفى حال الولادة كذلك ، وفى حال الصلب والموت كذلك » .

قالوا : « فمنا من يطلق فى لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول : مريم حبلت بالإله ، وولدت الإله ، ومات الإله . ومنا من يمتنع من هذه العبارة لبشاعة لفظها ويعطى معناها وحقيقتها ، ويقول : مريم حبلت بالمسيح فى الحقيقة ، وولدت المسيح فى الحقيقة ، وهى أم المسيح فى الحقيقة ، والمسيح إله فى الحقيقة ، ورب فى الحقيقة ، وابن الله فى الحقيقة ، وكلمة الله فى الحقيقة ، لا ابن لله فى الحقيقة سواه ، ولا أب للمسيح فى الحقيقة إلا هو » .

قالوا : « فهؤلاء يوافقون فى المعنى قول من قال : حبلت بالإله وولدت الإله وقتل الإله وصلب الإله ، ومات ودفن ، وإن منعوا اللفظ والعبارة » .

قالوا : « وإنما منعنا هذه العبارة التى أطلقها إخواننا ، لئلا يتوهم علينا إذا قلنا : حبلت بالإله وولدت الإله وألم الإله ومات الإله أن هذا كله حل ونزل بالإله الذى هو آب ولكنا نقول حل هذا كله ونزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيه ، فنحن وإخواننا فى الحقيقة شىء واحد لا فرق بيننا إلا فى العبارة فقط » .

قالوا : « فهذا حقيقة ديننا وإيماننا ، والآباء والقدوة قد قالوه قبلنا وسَنُّوه لنا مهدوه وهم أعلم بالمسيح منا » اهـ .

لا تختلف المثلثة عباد الصليب من أولهم إلى آخرهم أن المسيح ليس بنبى ولا عبد صالح

ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه ، وأنه إله تام من إله تام ، إنه خالق السموات والأرضين ، والأولين والآخرين ورازقهم ومحييهم ومميتهم وباعثهم من القبور وحاشرهم ومحاسبهم ومثيبهم ومعاقبهم .

والنصارى تعتقد أن الآب انخلع من ملكه كله وجعله لابنه ، فهو الذى يخلق ويرزق ويميت ويحى ويدبر أمر السموات والأرض ، ألا تراهم يقولون فى أمانتهم : « ابن الله وبكر أبيه ، وليس بمصنوع – إلى قولهم : بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء – إلى قولهم – : وهو مستعد للمجيء تارة أخرى لفصل القضاء بين الأموات والأحياء » ؟ ويقولون فى صلواتهم ومناجاتهم : « أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا » .

المسيح يعلن بشريته وينفى إلهيته

وقد تضمن هذا كله تكذيبهم الصريح للمسيح وإن أوهمتهم ظنونهم الكاذبة أنهم يصدقونه فإن المسيح قال لهم : « إن الله ربى وربكم ، وإلهى وإلهكم »[1] ، فشهد على نفسه أنه عبد لله مربوب مصنوع ، كما أنهم كذلك ، وإنه مثلهم فى العبودية والحاجة والفاقة إلى الله ، وذكر أنه رسول الله إلى خلقه كما أرسل الأنبياء قبله ، ففى إنجيل يوحنا أن المسيح قال فى دعائه : « إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وأنك أرسلت يسوع المسيح »[2] ، وهذا حقيقة شهادة المسلمين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال لنبى إسرائيل : « تريدون قتلى وأنا رجل قلت لكم الحق الذى سمعت الله يقوله »[3] ، فذكر ما غايته أنه رجل بلغهم ما قاله الله ، ولم يقل : وأنا إله ولا ابن الإله على معنى التوالد .

وقال : « إنى لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسى ولكن بمشيئة من أرسلنى »[4]

وقال : « إن الكلام الذى تسمعونه منى ليس من تلقاء نفسى ، ولكن من الذى أرسلنى ، والويل لى إن قلت شيئاً من تلقاء نفسى ولكن بمشيئة هو من أرسلنى »[5].

وكان يواصل العبادة من الصلاة والصوم ويقول : « ما جئت لأُخدم ، وإنما جئت لأخدم »[6]، فأنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله الله بها هى منزلة الخدام .

(١) يوحنا [٢٠/١٧] ونصه : «ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم» .
(٢) يوحنا [١٧ : ٣] .
(٣) يوحنا [٨ : ٤٠] .
(٤) يوحنا [٧ : ١٦ – ١٨] .
(٥) يوحنا [٥ : ٣٠] .
(٦) متى [٢٠ : ٢٨] .

وقال : « لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم ، ولكن الذى أرسلنى هو الذى يلى ذلك منهم »[1]، كل هذا فى الإنجيل الذى بأيدى النصارى .

وفيه أن المسيح قال : « يارب قد علموا أنك قد أرسلتنى ، وقد ذكرت لهم اسمك »[2]، فأخبر أن الله ربه وأنه عبده ورسوله .

وفيه : « أن الله الواحد رب كل شيء ، أرسل من أرسل من البشر إلى جميع العالم ليقبلوا إلى الحق » .

وفيه أنه قال : « إن الأعمال التى أعمل هى الشاهدات لى بأن الله أرسلنى إلى هذا العالم »[3].

وفيه : « ما أبعدنى وأتعبنى إن أحدثت شيئاً من قبل نفسى ، ولكن أتكلم وأجيب بما علمنى ربى »[4].

وقال : « إن الله مسحنى وأرسلنى ، وأنا عبد الله ، وإنما أعبد الله الواحد ليوم الخلاص »[5] .. وقال : « إن الله عز وجل ما أكل ولا يأكل وما شرب ولا يشرب ولم ينم ولا ينام ولا ولد له ولا يلد ولا يولد ولا رآه أحد ولا يراه أحد إلا مات »[6]، وبهذا يظهر لك سر قوله تعالى فى القرآن : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ** ﴾ [المائدة : ٧٥] ، تذكيراً للنصارى بما قال لهم المسيح .

وقال فى دعائه لما سأله ربه أن يحيى الميت : « أنا أشكرك وأحمدك لأنك تجيب دعائى فى هذا الوقت وفى كل وقت ، فأسألك أن تحيى هذا الميت ليعلم بنو إسرائيل أنك أرسلتنى وأنك تجيب دعائى »[7].

وفى الإنجيل أن المسيح حين خرج من السامرية ولحق بالجليل[8] قال : « لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه »[9] فلم يزد على دعوة النبوة .

وفى إنجيل لوقا : « لم يقتل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف تقتلوننى »[10].

(١) يوحنا [٣ : ١٧ ، ١٨ ، ٥ : ٣٠] .
(٢) يوحنا [١٧ : ٦ - ٩] .
(٣) يوحنا [٥ : ٣٦] .
(٤) يوحنا [٧ : ١٦ - ١٩] .
(٥) لوقا [٤ : ١٨] .
(٦) يوحنا [١ : ١٨] ونصه : « الله لم يره أحد قطُّ » . كذلك فإن صورة الإله فى أسفار التوراة تؤكد على وجود هذه الصفات .
(٧) يوحنا [١١ : ٤١ - ٤٣] .
(٨) فى المخطوطة « بالجلجال » وهو صواب ، لكن الترجمة الحديثة لها « الجليل » .
(٩) متى [١٣ : ٥٧] ولوقا [٤ : ٢٤] ويوحنا [٤ : ٤٣ ، ٤٤] .
(١٠) مما يؤكد اختلاف الأناجيل المعتمدة عند النصارى ما يرد بين رواياتها من اضطراب ، ففى متى ولوقا ما يفيد أن المسيح رجع من الأردن إلى الجليل ثم إلى الناصرة ، أما رواية يوحنا فتفيد أنه رجع من السامرة إلى الجليل ومنها إلى الناصرة .

وفى إنجيل مرقس : « أن رجلاً أقبل إلى المسيح وقال : أيها المعلم الصالح أى خير أعمل لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له المسيح : لم قلت صالحاً ؟ إنما الصالح الله وحده ، وقد عرفت الشروط ، لا تسرق ولا تزن ولا تشهد بالزور ولا تَخُنْ ، وأكرم أباك وأمك »[1] .

وفى إنجيل يوحنا أن اليهود لما أرادوا قبضه رفع بصره إلى السماء وقال : « قد دنا الوقت يا إلهى فشرفنى لديك ، واجعل لى سبيلاً أن أملك كل من ملكتنى الحياة الدائمة ، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً وبالمسيح الذى بعثت وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت الذى أمرتنى به فشرفنى »[2] ، فلم يدع سوى أنه عبد مرسل مأمور مبعوث .

وفى إنجيل متى : « لا تدعوا لكم أباً على الأرض فإن أباكم واحد الذى فى السماء ، ولا تدعوا معلمين فإنما معلمكم المسيح وحده »[3] ، والآب فى لغتهم الرب المربى ، أى لا تقولوا إلهكم وربكم فى الأرض ولكنه فى السماء ، ثم أنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله بها ربه ومالكه وهو أن غايته أنه يعلم فى الأرض وإلههم هو الذى فى السماء .

وفى إنجيل لوقا حين دعا الله فأحيا ولد المرأة فقالوا : « إن هذا النبى لعظيم ، وإن الله قد تفقد أمته »[4] . وفى إنجيل يوحنا أن المسيح أعلن صوته فى البيت وقال لليهود : « قد عرفتمونى وموضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق وأنتم تجهلونه ، فإن قلت إنى أجهله كنت كاذباً مثلكم وأنا أعلم وأنتم تجهلونه أنى منه وهو بعثنى »[5] ، فما زاد فى دعواه على ما ادعاه الأنبياء فأمسكت المثلثة قوله : « إنى منه » وقالوا : إله حق من إله حق . وفى القرآن : ﴿ **رَسُولٌ مِنَ اللهِ** ﴾ [البينة : ٢] ، وقال هود : ﴿ **وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٦٧] ، وكذلك قال صالح ! ولكن أمة الضلال كما أخبر الله عنهم يتبعون المتشابه يردون المحكم . وفى الإنجيل أيضاً أنه قال لليهود وقد قالوا له : ﴿ **نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ** ﴾ ، فقال لهم : « لو كان الله أباكم لأطعمتمونى لأنى رسول منه خرجت مقبلاً ولم أقبل من ذاتى ولكن هو بعثنى ، لكنكم لا تقبلون وصيتى وتعجزون عن سماع كلامى ، إنما أنتم أبناء الشيطان وتريدون إتمام شهواته »[6] .

وفى الإنجيل : « أن اليهود أحاطت به وقالت له : إلى متى تخفى أمرك إن كنت المسيح الذى ننتظره فأعلمنا بذلك »[7] ؟ ولم تقل : إن كنت الله أو ابن الله فإنه لم يدّع ذلك ولا فهمه عنه أحد من أعدائه ولا أتباعه .

---

(١) مرقس [١٠ : ١٧ - ١٩] .
(٢) يوحنا [١٧ : ١ - ٤] .
(٣) متى [٢٣ : ٨ - ١٠] .
(٤) لوقا [٧ : ١٦] .
(٥) يوحنا [٧ : ٢٨ ، ٢٩ - ٨ : ٥٥ ، ٥٦] .
(٦) يوحنا [٨ : ٤٢ - ٤٤] .
(٧) يوحنا [١٠ : ٢٤] .

وفى الإنجيل أيضاً : « أن اليهود أرادوا القبض عليه فبعثوا لذلك الأعوان وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم فقالوا لهم : لِمَ لَمْ تأخذوه ، فقالوا : ما سمعنا آدمياً أنصف منه ، فقالت اليهود : وأنتم أيضاً مخدعون أترون أنه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب ؟ فقال لهم بعض أكابرهم : أترون كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟ فقالوا له : اكشف الكتب ترى أنه لا يجيء من الجليل نبى »[1]، فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله بها ربه ومالكه أنه نبى ، ولو علمت من دعواه الإلهية لذكرت ذلك له وأنكرته عليه و كان أعظم أسباب التنفير عن طاعته ؛ لأن كذبه كان يعلم بالحس والعقل والفطرة واتفاق الأنبياء .

ولقد كان يجب لله سبحانه ـ لو سبق فى حكمته أنه يبرز لعباده ، وينزل عن كرسى عظمته ، ويباشرهم بنفسه ـ أن لا يدخل فى فرج امرأة ، ويقيم فى بطنها بين البول والنجو والدم عدة أشهر ، وإذ قد فعل ذلك لا يخرج صبياً صغيراً ، يرضع ويبكى ، وإذ قد فعل ذلك لا يأكل مع الناس ويشرب معهم وينام ، وإذ قد فعل ذلك ، فلا يبول ولا يتغوط ويمتنع من الخرأة إذ هى منقصة ابتلى بها الإنسان فى هذه الدار لنقصه وحاجته ، وهو تعالى المختص بصفات الكمال الممنوع بنعوت الجلال ، الذى ما وسعته سمواته ولا أرضه ؛ وكرسيه وسع السموات والأرض ، فكيف وسعه فرج امرأة . تعالى الله رب العالمين .. وكلكم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام .

أسئلة نريد جوابها

أيها معشر المثلثة وعباد الصليب : أخبرونا من كان الممسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التى أتقنت العوالم ، فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم ؟

أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه حيث قال فى التوراة : « ملعون من تعلق بالصليب »[2] ، أم تقولون : كان هو المدبر لها فى تلك الحال ، فكيف وقد مات ودفن ؟

أم تقولون ـ وهو حقيقة قولكم ـ لا ندرى ولكن هذا فى الكتب وقد قاله الآباء وهم القدوة والجواب عليهم ؟

فنقول لكم وللآباء : معاشر المثلثة عباد الصليب ! ما الذى دلكم على إلهية المسيح ؟ فإن

---

(١) يوحنا [٧ : ٣٢ - ٤٢] .

(٢) تثنية [٢١ : ٢٣] .

كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه ، وسوقه إلى خشبة الصليب على رأسه تاج من الشوك وهم يصقون فى وجهه ويصفعونه ، ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدوا يديه ورجليه بالحبال ، ضربوا فيها المسامير وهو يستغيث وتعلق ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه ؛ فما أصحه من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام وهم عار على جميع الأنام ؟

وإن قلتم : إنما استدللنا على كونه إلهاً بأنه لم يولد من البشر ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر ، فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح ، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه لأنه لا أم له ولا أب والمسيح له أم ، وحواء أيضاً اجعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح ؟

والله سبحانه قد نوَّع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرتـه وأنه يفعل ما يشاء ، فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق زوجه حواء من ذكر لا من أنثى ، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر ، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى .

وإن قلتم : استدللنا على كونه إلهاً بأنه أحيا الموتى ، ولا يحييهم إلا الله . فاجعلوا موسى إلها اخر ، فإنه آتى من ذلك بشىء لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه ، وهو جعل الخشبة حيواناً عظيماً ثعباناً ، فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسم كانت فيه أولاً ، فإن **قلتم** : هذا غير إحياء الموتى فهذا اليسع النبى أتى بإحياء الموتى وهم يقرون بذلك[1] ، وكذلك إيلياء النبى أيضاً أحيا صبياً بإذن الله[2] ، وهذا موسى قد أحيا بإذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه[3] ، وفى كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريين[4] ، فهل صار أحد منهم إلهاً بذلك ؟

(١) تحدثنا التوراة أن اليشع كان ينزل ضيفاً على إحدى الأرامل ، وأثناء وجوده عندها مات ابنها فأحياه اليشع ، وكان اليشع يشفى البرص ، بل ويصيب بالبرص الأصحاء ، شفى اليشع نعمان قائد جيش ملك آرام من البرص ، فرجع لحمه كلحم صبى صغير [الملوك الثانى ٥ : ١ - ١٤] كما أبرأ فى مرة واحدة عدداً كبيرا من العميان [الملوك الثانى : ٦ : ٢٠] . انظر المسيح إنسان أم إله لمحمد مجدى مرجان [١٠١ - ١٠٣] .

(٢) نبى الله إيلياء ، الذى يرجع المفسرون أنه إدريس عليه السلام الذى ورد ذكره فى القرآن « اختصه جل وعلا بمعجزات كثيرة تماثل معجزات عيسى وموسى » أحيا عيسى الموتى وأحيا إيليا الأموات ، ورفع عيسى إلى السماء وصعد إيليا أيضا إلى السماء ، وشق موسى البحر بعصاه وفلق إيليا المياه ، وكانت دعوات إيليا تفتك بأعدائه دون انتظار .. يحدثنا كتاب الملوك الأول عن إحيائه لأحد الموتى [١٧ : ٢٠ - ٢٤] ويحدثنا الملوك الثانى عن صعوده حيا إلى السماء [٢ : ١ - ١١] وكما فلق موسى البحر بعصاه ، شق إيليا المياه وأحالها إلى يابس سار فيه هو وتلميذه اليشع [الملوك الثانى ٢ : ٨] . [انظر المسيح إنسان أم إله [٩٩ - ١٠١] .

(٣) انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار [ص ٢٩٢ - ٢٩٤] .

(٤) بطرس خليفة عيسى يشفى المقعدين ، ويبرىء العرج ، ويحيى الموتى ، ويميت الأحياء . [أعمال الرسل ٩ : ٣٢ - ٣٥ ، ٣ : ١ - ٨ ، ٩ : ٣٦ - ٤١ ، ٥ : ١٥ ، ٤ : ٣٤ - ٣٥ ، ٥ : ١ - ١٠] . وهذا بولس لم يكن تلميذاً لعيسى ولم يشاهده البتة ، بل كان عدوا لأتباع عيسى ، مضطهداً لهم ، ثم صار فجأة داعياً لعيسى وصديقا للتلاميذ ، يقولون عنه إنه كان =

وإن قلتم : جعلناه إلهاً للعجائب التى ظهرت على يديه فعجائب موسى أعجب وأعجب ، وهذا إيلياء النبى بارك على دقيق العجوز ودهنها فلم ينفذ ما فى جرابها من الدقيق وما فى قارورتها من الدهن سبع سنين[1].

وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافاً من الناس فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى[2]! وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جداً حتى شبعوا وملأوا أوعيتهم ، وسقاهم كلهم من ماء يسير لا يملأ اليد حتى ملأوا كل سقاء فى العسكر ، وهذا منقول عنه بالتواتر[3].

وإن قلتم : جعلناه إلهاً لأنه صاح بالبحر فسكنت أمواجه ، فقد ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثنى عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان ، وفجر من الحجر الصلد اثنى عشر عيناً سارحة[4]! وإن جعلتموه إلهاً لأنه أبرأ الأكمه والأبرص[5] فإحياء الموتى أعجب من ذلك ، وآيات موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك .

وإن جعلتموه إلهاً لأنه ادعى ذلك فلايخلو إما أن يكون الأمر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعى العبودية والافتقار وأنه مربوب مصنوع مخلوق ، فإن كان كما ادّعيتم عليه فهو أخو المسيح الدجال وليس بمؤمن ولا صادق ، فضلاً عن أن يكون نبياً كريماً وجزاؤه جهنم وبئس المصير ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ** ﴾ [الأنبياء :٢٩] ، وكل من ادّعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله ، فأخرجتم المسيح عن كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ، ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح فى صورة محب مُوَالٍ !

ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدّعى الإلهية فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم فيقتله ، ويظهر للخلائق أنه كان كاذباً مفترياً ولو كان إلهاً لم يقتل فضلاً عن أن يصلب ويسمر ويبصق فى وجهه !

وإن كان المسيح إنما ادّعى أنه عبد ونبى ورسول كما شهدت به الأناجيل كلها ودل عليه

---

* يبرىء المرضى ويحيى الموتى ، وإنه كان محصنا ضد كافة أنواع الأذى لا تقربه الحيات ولا تناله العقارب . [أعمال الرسل ١٩ : ١١ ، ١٢ ، ٢٠ : ٩ - ١١ ، ١٤ : ٨ - ١٠] [انظر المسيح إنسان أم إله ص ١٠٧ - ١١٢] .

(١) سفر الملوك الأول [١٧ : ١٠ - ٢٤] .

(٢) انظر : متى [١٤ : ١٥ - ٢١] ، مر [٦ : ٣٤ - ٤٤] ، لو [٩ : ١١ - ١٧] لو [٦ : ٥ - ١٣] ، خروج [١٦ : ٤ - ٣٦] ، الملوك الثانى [٤ : ٤٢ - ٤٤] .

(٣) انظر المسيح إنسان أم إله ص ١١٤ - ١١٩ .

(٤) فيما يتعلق بمعجزة البحر وسكونه وانفلاقه ، وانفجار العيون من الحجر الصلد انظر : مرقس [٤ : ٣٧ - ٤٠] ، خروج [١٤ : ٢١ - ٢٢ ، ١٧ : ٥ - ٧] .

(٥) متى [٨ : ١ - ٧ ، ٨ : ١٤ ، ١٥] يوحنا [٨ : ١ -] .

العقل والفطرة وشهدتم أنتم له بالإلهية ـ وهذا هو الواقع ـ فلم تأتوا على إلهيته ببينة غير تكذيبه فى دعواه ، وقد ذكرتم عنه فى أناجيلكم فى مواضع عديدة ما يصرح بعبوديته وأنه مربوب مخلوق ، وأنه ابن البشر ، وأنه لم يدع غير النبوة والرسالة ، فكذبتموه فى ذلك كله وصدقتم من كذب على الله وعليه !

وإن قلتم : إنما جعلناه إلهاً لأنه أخبر بما يكون بعده من الأمور فكذلك عامة الأنبياء ، وكثير من الناس يخبر عن حوادث فى المستقبل جزئية ويكون ذلك كما أخبر به ، ويقع من ذلك كثير للكهان والمنجمين والسحرة !

وإن قلتم : إنما جعلناه إلهاً لأنه سمى نفسه ابن الله فى غير موضع من الإنجيل كقوله : « إنى ذاهب إلى أبى »[1] ، « وإنى سائل أبى »[2] ، ونحو ذلك وابن الإله إله ، قيل : فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة فى غير موضع إنه سماه « أباه ، أباهم » كقوله : « أذهب إلى أبى وأبيكم »[3] ، وفيه : « ولا تدعوا لكم أباً على الأرض فإن أباكم واحد الذى فى السماء »[4] ، وهذا كثير فى الإنجيل وهو يدل على أن الأب عندهم : الرب ![5] .

وإن جعلتموه إلهاً لأن تلاميذه ادّعوا ذلك له وهم أعلم الناس به كذبتم أناجيلكم التى بأيديكم فكلها صريحة أظهر صراحة بأنهم ما ادّعوا له إلا ما ادّعاه لنفسه من أنه عبد ، فهذا « متّى » يقول فى الإصحاح الثانى عشر[6] من إنجيله محتجاً بنبوة إشعياء فى المسيح عن الله عز وجل : « هذا عبدى الذى اصطفيته وحبيبى الذى ارتاحت نفسى له »[7]، وفى

---

(١) يوحنا [٢٠ : ١٧] .
(٢) يوحنا [١٧ : ٩] .
(٣) يوحنا [٢٠ : ١٧] .
(٤) متى [٢٣ : ٩] .

(٥) «ونبحث عن تفسير كلمة «رب» التى أطلقت على عيسى فنجد التفسير فى صلب الأناجيل نفسها ، ففى إنجيل يوحنا فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ فقال : ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث] [يوحنا ١ : ٣٨] لم يشأ يوحنا أن يطلق كلمة «رب» على عيسى من غير تفسير ، فقد خشى أن يتصور الناس أن عيسى إله أو بعض إله .. ومرة ثانية يورد يوحنا حوارا بين عيسى ومريم المجدلية ، تطلق فيها الأخيرة على عيسى لفظ «رب» ويحرص يوحنا أيضا على تفسير اللفظ خلال الحديث درءاً للشك والشبهة [يوحنا ٢٠ : ١٦ ، ١٧] . وحتى الآن نرى الكثيرين منا يتحدثون عن عائل الأسرة فيقول : رب الأسرة ورب الدار ولم يدر بخلد أحد عند سماعه هذه الكلمة أن رب الأسرة هو معبود الأسرة أو أن رب الدار هو إله الدار ، بل إن هذا اللفظ لايعنى سوى التكريم والتقدير للشخص الذى يطلق عليه ، وما أطلق على عيسى إلا تقديراً له بصفته المعلم والنبى ، ولم يعن به أحد على الإطلاق إشراكاً بالله أو تأليها لمن أطلق عليه] . [المسيح إنسان أم إله ص ١٩٣ – ١٩٧] .

(٦) فى المخطوطة «فى الفصل التاسع» والصواب ما أثبتناه .

(٧) متى [١٢: ١٨ – ٢١] ونصه : «هو ذا فتاى الذى اخترته . حبيبى الذى سرت به نفسى . أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق..» وهو مقتبس من سفر إشعياء ونصه : وهو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم .. [٤٢ : ١ – ٤] وقد فسر ابن القيم البشارة بأنها تنطبق وتشير إلى المسيح مع أنها واضحة الإشارة إلى محمد ﷺ . ومما يؤكد انطباق هذه البشارة على سيدنا محمد ﷺ أن ابن القيم نفسه قد أورد هذا النص فى حديثه عن البشارات عن محمد ﷺ فى الكتب المقدسة ، بل إنه شرح هذه البشارة شرحاً مستفيضاً فى الوجه الثالث والعشرون من السؤال الثالث . وهذا يدل على تناقض وقع فيه ابن القيم فى تأويله للبشارات .

الإصحاح الحادى عشر[١] من إنجيله : « إنى أشكرك يارب »[٢] ، « ويارب السموات والأرض » . وهذا « لوقا » يقول فى آخر إنجيله : « إن المسيح عرض لاثنين من الناس فى الطريق وهما محزونان ، فقال لهما وهما لا يعرفانه : ما بالكما محزونين ؟ فقالا : كأنك غريب فى بيت المقدس ، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها فى هذه الأيام من أمر الناصرى فإنه كان رجلاً نبياً قوياً تقياً فى قوله وفعله عند الله وعند الأمة أخذوه وقتلوه »[٣] ، وهذا كثير جداً فى الإنجيل !

وإن قلتم : إنما جعلنا إلهاً لأنه صعد إلى السماء .. فهذا أخنوخ وإلياس قد صعدا إلى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكة ولا طمع فيهما طامع[٤] .

والمسلمون مجمعون على أن محمداً ﷺ صعد إلى السماء وهو عبد محض[٥] .

وهذه الملائكة تصعد إلى السماء ، وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مفارقتها الأبدان ولا تخرج بذلك عن العبودية ، وهل كان الصعود إلى السماء مخرج عن العبودية بوجه من الوجوه ؟

وإن جعلتموه إلهاً لأن الأنبياء سمته إلهاً ورباً وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع الأمم وفى سائر الكتب ، وما زالت الروم والفرس والهند والسريانيون والعبرانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأرباباً[٦] ، وفى السِفر الأول من التوراة « أن بنى الله دخلوا على بنات الناس ورأوهن بارعات الجمال فتزوجوا منهن »[٧] ، وفى السِفر الثانى من التوراة فى قصة الخروج من مصر « إنى جعلتك إلهاً لفرعون »[٨] ، وفى المزمور الثانى والثمانين لداود « قام الله لجميع الإلهة »[٩] هكذا فى

---

(١) فى المخطوطة « وفى الفصل الثامن » والصواب ما أثبتناه .

(٢) متى [١١ : ٢٥] ونصه : « أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض .. » .

(٣) لوقا [٢٤ : ١٣ - ٢٠] وقد ورد فى المخطوطة « عرض له ولآخر من تلاميذه فى الطريق ملك وهما .. » والأصوب ما أثبتناه .

(٤) سفر التكوين [٥ : ٢٤] « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » الملوك الثانى [٢ : ١١] « وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء » .

(٥) فى حادثة الإسراء والمعراج المعروفة .

(٦) يطلق لفظ « إله » فى الكتب المقدسة على بعض الأنبياء على سبيل المجاز تعبيراً عن قربهم من الله كسائر أبناء الله الصالحين والبشر المؤمنين . وإطلاق لفظ إله على الأناس ورد كثيرا فى التوراة ، فقد أطلق على موسى كما أطلق على حكام وقضاة بنى إسرائيل ، وعلى غيرهم من الناس ، وكان يعنى فى نظرهم تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريبا من الله ، عاملا بوصاياه ، ودليلا على القوة والرفعة والعلو . [المسيح إنسان أم إله ص ١٩٠ - ١٩٣] .

(٧) التكوين [٦ : ٢] .

(٨) خروج [٧ : ١] .

(٩) المزامير [٨٢ : ١] ونصه : « الله قائم فى مجمع . فى وسط الآلهة يقضى » .

العبرانية ، وأما من نقله إلى السريانية فإنه حرّفه فقال : « قام الله فى جماعة الملائكة » ، وقال فى هذا المزمور وهو يخاطب قوماً بالروح : « لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم أبناء الله كلكم »[1]، وقد سمى الله سبحانه عبده بالملك ، كما سمى نفسه بذلك ، وسماه بالرؤوف الرحيم كما سمى نفسه بذلك ، وسماه بالعزيز وسمى نفسه بذلك ، واسم الرب واقع على غير الله تعالى فى لغة أمة التوحيد ، كما يقال : هذا رب المنزل ورب الإبل ورب هذا المتاع ، وقد قال إشعياء : « عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف بنو إسرائيل »[2] .

وإن جعلتموه إلهاً لأنه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله ، قيل : فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فإنه ألقى عصا فصارت ثعباناً عظيماً ثم أمسكها بيده فصارت عصا كما كانت !

وإن قلتم : جعلناه إلهاً لشهادة الأنبياء والرسل له بذلك ، قال دانيال[3] حيث سباهم بختنصر إلى أرض بابل بعد أربعمائة وثلاث وثمانين سنة[4] : « يأتى المسيح ويخلص الشعوب والأمم »[5]، وعند انتهاء هذه المدة أتى المسيح ، ومن يطيق تخليص الأمم غير الإله التام ، قيل لكم : فاجعلوا جميع الرسل آلهة فإنهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار بإذن الله وحده ، ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة ، كما خلص موسى بنى إسرائيل من فرعون وقومه ، وخلصهم بالإيمان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة ، وخلص الله سبحانه بمحمد بن عبد الله ﷺ عبده ورسوله من الأمم والشعوب ما لم يخلصه نبى سواه فإن وجبت بذلك الإلهية لعيسى فموسى ومحمد أحق بها منه.

وإن قلتم : أوجبنا له الإلهية لقول إشعيا[6] النبى عن ولادته : « وفى ذلك الزمان يقوم لداود ابن ، وهو ضوء النور ، يملك الملك ، ويقيم الحق العدل فى الأرض ، ويخلص من آمن

(١) المزامير [٨٢ : ٦ ، ٧] ونصه « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم لكن مثل الناس يموتون وكأحد الرؤساء تسقطون » « ليس هذا فقط ، بل إن لفظ إله أطلق أيضاً على البشر العاديين من القضاة والحكام الإسرائيليين فداود عليه السلام يسمى القضاة آلهة .. ومما يؤكد أن إطلاق لفظ الآلهة على الناس كان من قبيل المجاز المطلق ، يؤيد هذا ما حدث عند انحراف بعض هؤلاء الآلهة (قضاة إسرائيل) إذ أنهم بعد أن كانوا يقضون بين الناس بالحق وينفذون تعاليم الله ، انحرفوا عن جادة الصواب .. مما أغضب داود النبى عليهم ، فأخبرهم بحكم الله بخلع هذه الألقاب الشرفية عنهم ، وبأنهم لا يستحقون أن يتصفوا بصفات الآلهة أو أبناء الله ، بل يستحقون السقوط والخزى جزاء انحرافهم وسوء أعمالهم] . [المسيح إنسان أم إله صـ ١٩١ - ١٩٢] .

(٢) سفر إشعياء [١ : ٣] ونصه : « الثور يعرف قانيه . والحمار معلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يعرف شعبى لا يفهم » .

(٣) فى الأصل « قال عزرا » والصحيح ما أثبتناه .

(٤) فى المخطوطة « بعد أربعمائة واثنين وثمانين والصحيح وثلاث وثمانين . [السقا] .

(٥) ليس المراد بالمسيح فى النص عيسى عليه السلام ، بل يشير إلى محمد ﷺ . انظر الوجه الثامن والعشرون من السؤال الثالث .

(٦) فى المخطوطة « لقول إرمياء النبى » والنص فى إشعياء لا إرميا .

به من اليهود ومن بنى إسرائيل ومن غيرهم ، ويبقى بيت المقدس من غير مقاتل ، ويسمى الإله »[1] ، فقد تقدم أن اسم الإله فى الكتب المتقدمة وغيرها قد أطلق على غيره وهو بمنزلة الرب والسيد والآب ولو كان عيسى هو الله لكان أجل من أن يقال ويسمى الإله وكان يقول : وهو الله ، فإن الله سبحانه لا يعرف بمثل هذا ، وفى هذا الدليل الذى جعلتموه به إلهاً أعظم الأدلة على أنه عبد وأنه ابن البشر فإنه قال : « يقوم لداود ابن » فهذا الذى قام لداود هو الذى سمى بالإله ، فعلم أن هذا الاسم لمخلوق مصنوع مولود لا لرب العالمين وخالق السموات والأرضين .

وإن قلتم : إنما جعلناه إلهاً من جهة قول إشعياء النبى : « قل لصهيون يفرح ويتهلل فإن الله يأتى ويخلص الشعوب ويخلص من آمن به ويخلص مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المتبددين ويجعلهم أمة واحدة ، ويبصر جميع أهل الأرض خلاص الله لأنه يمشى معهم وبين أيديهم ويجمعهم إله إسرائيل »[2] ، قيل لهم : هذا يحتاج إلى أن يعلم أن ذلك فى نبوة إشعياء بهذا اللفظ بغير تحريف للفظه ولا غلط فى الترجمة ، وهذا غير معلوم ، وإن ثبت ذلك لم يكن فيه دليل على أنه إله تام وأنه غير مصنوع ولا مخلوق فإنه نظير ما فى التوراة : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ، وليس فى هذا مايدل على أن موسى ومحمداً إلهان والمراد بهذا مجيء دينه وكتابه وشرعه وهداه ونوره.

وأما قوله : « ويظهر ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين » ففى التوراة مثل هذا وأبلغ منه فى غير موضع[3] .

وأما قوله : « ويبصر جميع أهل الأرض خلاص الله لأنه يمشى معهم ومن بين أيديهم » ، فقد قال فى التوراة فى السِفر الخامس لبنى إسرائيل : « لا تهابوهم ولا تخافوهم لأن الله ربكم السائر بين أيديكم وهو محارب عنكم »[4] ، وفى موضع آخر قال موسى : « إن الشعب هو شعبك ، فقال : أنا أمضى أمامك ، فقال : إن لم تمض أنت أمامنا وإلا فلا تصعدنا من ههنا ، فكيف أعلم أنا وهذا الشعب أنى وجدت نعمة كذا إلا بسيرك معنا ؟ »[5] ، وفى السِفر الرابع : « أنك أصعدت هؤلاء بقدرتك فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله بين هؤلاء القوم الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عياناً لعين وغمامك تغيم عليهم وبعمود

---

(١) إشعياء [٩ : ٦ - ٧] ونصه : «لأنه يولد لنا ولدٌ ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إله قديرا أبا أبديا رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود على مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» .

(٢) إشعياء [٣٥ : ٤ ، ٤٠ : ٣ - ٥ ، ٩ - ١١] .

(٣) انظر إظهار الحق لرحمت الله الهندى [٤٧/٢ ، ٥٤] .

(٤) سفر التثنية [١ : ٢٩ ، ٣٠] .

(٥) الخروج [٣٣ : ١٣ - ١٦] .

غمام تسير بين أيديهم نهاراً وبعمود نار ليلاً »[1] ، وفى التوراة أيضاً يقول الله لموسى : « إنى آت إليك فى غلظ الغمام لكى يسمع القوم مخاطبتى لك »[2] ، وفى الكتب الإلهية وكلام الأنبياء من هذا كثير .

وفيما حكى خاتم الأنبياء ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « **ولا يزال عبدى يتقرب إلَّى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى** »[3] .

فصل : وإن قلتم : جعلناه إلهاً لقول زكريا فى نبوته : « ترنمى وافرحى يا بنت صهيون ، لأنى آتيك وأحل فيك وأتراءى ، وتؤمن بالله فى ذلك اليوم الأمم الكثيرة ، ويكونون له شعباً واحداً ، ويحل هو فيهم ويعرفون أنى أنا الله القوى الساكن فيك ، ويأخذ الله فى ذلك اليوم المُلك من يهوذا ويملك عليهم إلى الأبد »[4] .. قيل لكم : إن أوجبتم له الإلهية بهذا فلتجب لإبراهيم وغيره من الأنبياء ، فإن عند أهل الكتاب وأنتم معهم : « أن الله تجلى لإبراهيم واستعلن له وتراءى له »[5] .

أما قوله : « **وأحل فيك** » لم يرد سبحانه بهذا حلول ذاته التى لا تسعها السموات والأرض فى بيت المقدس ، وكيف تحل ذاته فى مكان يكون فيه مقهوراً مغلوباً مع شرار الخلق ؟ كيف وقد قال : « ويعرفون أنى أنا الله القوى الساكن فيك » ؟ أفترى عرفوا قوته بالقبض عليه وشد يديه بالحبال وربطه على خشبة الصليب ودق المسامير فى يديه ورجليه ووضع تاج الشوك على رأسه وهو يستغيث ولا يغاث ؟

وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور مستخف فى غالب أحواله . ولو صح مجيء هذه الألفاظ صحة لا تدفع وصحت ترجمتها كما ذكروه لكان معناها أن معرفة الله والإيمان به وذكره ودينه وشرعه حل فى تلك البقعة ، وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد رفعه يكن حاصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك .

« **وجماع الأمر** » .. أن النبوات المتقدمة والكتب الإلهية لم تنطق بحرف واحد يقتضى

---

(١) العدد [١٤ : ١٣ - ١٥] .

(٢) الخروج [١٩ : ٩] .

(٣) صحيح . البخارى فى الرقاق . باب التواضع [٣٤٨/١١] بدون قوله « فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى » وقد قال عنها الألبانى فى السلسلة الصحيحة : « ولم أر هذه الزيادة عند البخارى ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين ، وقد ذكرها الحافظ فى أثناء شرحه للحديث نقلاً عن الطوفى ولم يعزها لأحد » . [السلسلة الصحيحة ١٦٤٠] .

(٤) سفر زكريا [٢ : ١٠ - ١٣] .

(٥) الذى تجلى لإبراهيم ملاك الرب كما فى سفر التكوين [٢٢ : ١١ ، ١٥] .

أن يكون ابن البشر إلهاً تاماً .. إله حق من إله حق ، وأنه غير مصنوع ولا مربوب ، بل لم يخصه إلا بما خص به أخوه وأولى الناس به محمد بن عبد الله ﷺ فى قوله : « **إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** » ، وكتب الأنبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد ﷺ ، وذلك كله يصدق بعضه بعضاً ، وجميع ما تستدل به المثلثة عباد الصليب على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات فى الكتب فإنها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته أباً وكلمة وروح حق وإلهاً ، وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أو فى مكانه .

وباء الحلول زحف إلى الجهمية وبعض الصوفية

وقد وقع فى نظير شركهم وكفرهم طوائف من المنتسبين إلى الإسلام ، واشتبه عليهم ما يحل فى قلوب العارفين من الإيمان به ومعرفته ونوره وهداه فظنوا أن ذلك نفس ذات الرب ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الروم : ٢٧] ، وهو ما فى قلوب ملائكته وأنبيائه وعباده المؤمنين من الإيمان به ومعرفته ومحبته وإجلاله وتعظيمه ، وهو نظير قوله : ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا** ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، وقوله : ﴿ **وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُم وَجَهْرَكُم وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** ﴾ [الأنعام : ٣] ، وقوله : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، فأولياء الله يعرفونه ويحبونه ويجلونه ، ويقال : هو فى قلوبهم .

والمراد محبته ومعرفته والمثل الأعلى فى قلوبهم لا نفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس فى مخاطبتهم ومحاوراتهم ، يقول الإنسان لغيره : أنت فى قلبى ولا زلت فى عينى .. كما قال القائل :

وَمِنْ عَجَبٍ ، أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهُمُ ... وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ، وَهُمْ مَعِي
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي ، وَهُم فِي سَوَادِهَا ... وَيَشْتَاقُهُم قَلْبِي ، وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

وقال آخر :

خَيَالُكَ فِي عَيْنِي ، وَذِكْرُكَ فِي فَمِي ... وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي . فَأَيْنَ تَغِيبُ ؟

وقال آخر :

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَغْمُرُهُ ... لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ

وقال آخر :

إِنْ قُلْتُ : غِبْتَ . فَقَلْبِي لاَ يُصَدِّقُنِي ... إِذْ أَنْتَ فِيهِ فَذَاكَ النَّفْسُ لَمْ تَغِبِ
أَوْ قُلْتُ: مَاغُبْتَ. قَالَ الطَّرْفُ: ذَا كَذِبٌ ... فَقَدْ تَحَيَّرْتُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ

وقال الآخر :

أَحِنُّ إِلَيْهِ ، وَهُوَفِى القَلْبِ سَاكِنٌ فَيَا عَجَبَاً لِمَنْ يَحِنُّ لِقَلْبِهِ

ومن غلظ طبعه وكشف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من ألفاظ الكتب أن ذات الله سبحانه تحل فى الصورة البشرية وتتحد بها وتمتزج بها ـ تعالى الله عَمَّا يقول الكافرون علواً كبيراً .

فصل : وإن قلتم : أوجبنا له الإلهية من قول إشعياء : « من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر » ، قيل لكم : هذا مع أنه يحتاج إلى صحة هذا الكلام عن إشعياء وأنه لم يحرف بالنقل من ترجمة إلى ترجمة وأنه كلام منقطع عما قبله وبعده ببينة ، فهو دليل على أنه مخلوق مصنوع ، وأنه ابن البشر مولود منه ؛ لا من الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد !

وإن قلتم : جعلناه إلهاً من قول متَّى فى إنجيله : « إن ابن الإنسان يرسل ملائكته ويجمعون مختاريه من أقصاء السموات إلى أقصائها ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض »[1] .. قيل : هذا كالذى قبله سواء ، و لم يرد أن المسيح هو رب الأرباب ولا أنه خالق الملائكة ، وحاشا لله أن يطلق عليه أنه رب الملائكة بل هذا من أقبح الكذب والافتراء ؛ بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح وتأييده ونصره بشهادة لوقا النبى القائل عندهم : « إن الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك »[2]، ثم بشهادة لوقا : « إن الله أرسل له ملكاً من السماء ليقويه »[3] ، هذا الذى نطقت به الكتب ، فحرف الكذابون على الله وعلى مسيحه ذلك ، ونسبوا إلى الأنبياء أنهم قالوا : هو رب الملائكة . وإذا شهد الإنجيل واتفق الأنبياء والرسل أن الله يوصى ملائكته بالمسيح ليحفظوه علم أن الملائكة والمسيح عبيد الله منفذون لأمره ، وليسوا أرباباً لا آلهة .

وقال المسيح لتلامذته : « من قَبِلكم فقد قَبِلَنى ، ومن قَبِلَنى فقد قَبِلَ من أرسلنى »[4] .

وقال المسيح لتلامذته أيضاً : « من أنكرنى قدام الناس أنكرته أنا قدام أبى الذى فى السموات »[5].

وقال للذى ضرب عبد رئيس الكهنة : « اغمد سيفك ، أو لا تظن أنى أستطيع أن أدعو الله الآب فيقيم لى أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة ؟ »[6] . فهل يقول هذا من هو رب الملائكة وإلههم وخالقهم ؟

---

(١) متى [٢٤ : ٣٠ ـ ٣٢ ، ٢٥ : ٣١ ، ٣٢] وليس المراد بابن الإنسان المسيح ، بل المراد محمد ﷺ .

(٢) لوقا [٤ : ١٠] والمزامير [٩١ : ١١] .

(٣) لوقا [٢٢ : ٤٣] .

(٤) متى [١٠ ـ ٤٠] .

(٥) متى [١٠ : ٣٣] وعبارة المخطوطة « قدام ملائكة الله » .

(٦) متى [٢٦ : ٥١ ـ ٥٣] .

وإن أوجبتم له الإلهية بما نقلتموه عن إشعياء : « تخرج عصا من جذع يسى ، وينبت غصن من أصوله ، ويحل فيه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح العلم وخوف الله »[1].. قيل لكم : هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن إشعياء وصحة الترجمة له باللسان العربى وأنه لم يحرفه المترجم هو حجة على المثلثة عباد الصليب لا لهم ؛ فإنه لا يدل على أن المسيح خالق السموات والأرض ؛ بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن ، وأن المسيح أُيِّد بروح الرب ؛ فإنه قال : « ويحل فيه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح العلم وخوف الله » . ولم يقل : تحل فيه حياة الله فضلاً عن أن يحل الله فيه ويتحد به ويتخذ حجاباً من ناسوته .

هذه روح تكون مع الأنبياء والصديقين ، وعندهم فى التوراة : أن الذين كانوا يعملون فى قبة الزمان حلت فيهم « روح الحكمة » ، وروح الفهم والعلم هى ما يحصل به الهدى والنصر والتأييد ، وقوله : « روح الله » لا يدل على أنها صفة فضلاً عن أن يكون هو الله ، وجبريل يسمى روح الله ، والمسيح اسمه روح الله .

« والمضاف » إذا كان ذاتاً قائمة بنفسها فهو إضافة مملوك إلى مالك كبيت الله وناقة الله وروح الله ؛ ليس المراد به بيت يسكنه ، ولا ناقة يركبها ، ولا روح قائمة به ، وقد قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] ، فهذه الروح أيد بها عباده المؤمنين . وقد أخبر أنه أيده بروح العلم وخوف الله ، فجمع بين العلم والخشية وهما الأصلان اللذان جمع القرآن بينهما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وفى قول النبى ﷺ : « أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية »[2] وهذا شأن العبد المحض . وأما الإله الحق ورب العالمين فلا يلحقه خوف ولا خشية ولا يعبد غيره ، والمسيح كان قائماً بأوراد العبادات لله أتم القيام .

وإن أوجبتم له الإلهية بقول إشعياء : « إن غلاماً يولد لنا ، وإننا أعطينا ولداً ، ورياسته على عاتقيه وبين منكبيه ، ويدعى اسمه ملكاً عظيماً عجيباً إلهاً قوياً مسلطاً رئيساً ، قوى السلامة فى كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء »[3].

قيل لكم : ليس فى هذه البشارة ما يدل على أن المراد بها المسيح بوجه من الوجوه ، ولو كان المراد بها المسيح لم يدل على مطلوبهم .

---

(١) إشعياء [١١ : ١ ، ٢] .

(٢) صحيح . البخارى فى الأدب . باب من لم يواجه الناس بالعتاب [١٠/٥٢٩] وفى الاعتصام . باب ما يكره من التعمق والتنازع .. [١٣/٢٩٠] ومسلم فى الفضائل باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته [١٢٧ ، ١٢٨] .

(٣) إشعياء [٩ : ٦ ، ٧] .

إن دلالتها على محمد بن عبد الله أظهر من دلالتها على المسيح ، فإنه هو الذى رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين ؛ من جهة أن خاتم النبوة علا نغض كتفيه[1] ، وهو من أعلام النبوة التى أخبرت به الأنبياء ، وعلامة ختم ديوانهم ، ولذلك كان فى ظهره . ومن جهة أنه بعث بالسيف الذى يتقلد به على عاتقه ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه ، ويدل عليه قوله : « مسلطاً رئيساً قوى السلامة » ، وهذه صفة محمد ﷺ المؤيد المنصور رئيس السلامة ، فإن دينه الإسلام ، ومن اتبعه سلم من خزى الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه ، والمسيح لم يسلط على أعدائه كما سلط محمد ﷺ ، بل كان أعداؤه مسلطين عليه قاهرين له حتى عملوا به ما عملوا عند المثلثة عباد الصليب .

فأين مطابقة هذه الصفات للمسيح بوجه من الوجوه ؟ وهى مطابقة لمحمد بن عبد الله ﷺ من كل وجه وهو الذى سلطانه كامل ليس له فناء إلى آخر الدهور .

فإن قيل : إنكم لا تدعون محمداً إلهاً بل هو عندكم عبد محض ؟ قيل : نعم . والله إنه لكذلك . عبد محض لله ، والعبودية من أجَلّ مراتبه ، واسم « الإله » من جهة التراجم جاء ، والمراد به السيد المطاع لا الإله المعبود الخالق الرازق .

وإن أوجبتم له الإلـٰهية من قول إشعياء فيما زعمتم : « ها هى العذراء تحبل وتلد ابناً يدعى اسمه عمانويل »[2] ، وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربية « إلهنا معنا » فقد شهد له النبى أنه إله .

قيل لكم : بعد ثبوت هذا الكلام وتفسيره لا يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والأرضين ؛ فإنه قال : تلد ابناً وهذا دليل على أنه ابن من جملة البنين ليس هو رب العالمين . وقوله : « ويدعى اسمه عمانويل » فإنما يدل على أنه يسمى بهذا الاسم كما يسمى الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والأسماء والأفعال والجمل المركبة من اسمين أو اسم وفعل ، وكثير من أهل الكتاب يسمون أولادهم عمانويل .

ومن علمائكم من يقول : « المراد بالعذراء ههنا غير مريم » ، ويذكر فى ذلك قصة ، ويدل على هذا أن المسيح لا يعرف اسمه « عمانويل » وإن كان ذلك اسمه فكونه يسمى إلهنا معنا أو بالله حسبى أو الله وحده ونحو ذلك[3] .

---

(١) النُّغْضُ : أعلى مُنْقطع غضروف الكتف .

(٢) إشعياء [٧ : ١٤] وتفسيره بالله معنا ورد فى متى ونصه : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عِمَّا نُوئيل الذى تفسيره الله معنا » [١ : ٢٣] .

(٣) يناقش العلامة رحمة الله هذه القصيدة فى كتابة إظهار الحق ، فيذكر ثلاث حجج تنفى ما ذهب إليه النصارى ، يقول : « أقول : هو غلط بوجوه : الأول : أن اللفظ الذى ترجمه الإنجيل ومترجم سفر إشعياء بالعذراء هو علمة مؤنث علم والهاء فيه للتأنيث ، ومعناه عند علماء اليهود « المرأة الشابة » سواء أكانت عذراء أو غير عذراء .. وفسر هذا اللفظ فى كلام إشعياء بالامرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة : أعنى ترجمة ايكوئلا

وقد حرّف بعض المثلثة عباد الصليب هذه الكلمة وقال : معناها « الله معنا » ، ورد عليهم بعض من أنصف من علمائهم وحكم رشده على هواه وهداه الله للحق وبصّره من عماه وقال: (أهذا هو القائل: «أنا الرب، ولاإله غيرى، وأنا أحيى وأميت وأخلق وأرزق؟»[1]، أم هو القائل لله : « إنك أنت الإله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح »[2] قال : « والأول باطل قطعاً ، والثانى هو الذى شهد به الإنجيل ، ويجب تصديق الإنجيل وتكذيب من زعم أن المسيح إله معبود » . قال : « وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم فإن ـ عمانويل ـ اسم تسمى به النصارى واليهود أولادهما » . قال : « وهذا موجود فى عصرنا هذا ، ومعنى هذه التسمية بينهم شريف القدر » . قال : « وكذلك السريان يسمون أولادهم (عمانويل) والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل : الله معك .. فإذا سُمى الرجل بقول الله معك كان هذا تبركاً بمعنى هذا الاسم ») اهـ .

فصل : وإن أوجبتم له الإلهية بقول حبقوق فيما حكيتموه عنه : « إن الله فى الأرض يتراءى ويختلط مع الناس ويمشى معهم »[3]، ويقول باروخ أيضاً بعد هذا : « الله يظهر فى الأرض ويتقلب مع البشر »[4].

قيل لكم : هذا بعد احتياجه إلى ثبوت نبوة هذين الشخصين أولاً[5] وإلى ثبوت هذا

وترجمة تيودوشن وترجمة سيمكس . وهذه التراجم عندهم قديمة .. وكانت معتبرة عند قدماء المسيحيين سيما ترجمة تيودوشن فعلى تفسير علماء اليهود والتراجم الثلاثة فساد كلام متى ظاهر ..

الثانى : ما سمى أحد عيسى عليه السلام بعمانوئيل لا أبوه ولا أمه ، بل سمياه يسوع .. ولم يدع عيسى عليه السلام فى حين من الأحيان أيضا أن اسمه عمانوئيل .

الثالث : القصة التى وقع فيها هذا القول تأبى أن يكون مصداق هذا القول عيسى عليه السلام ، لأنه ولد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها . وقد اختلف أهل الكتاب فى مصداق هذا الخبر ، فاختار البعض أن إشعياء عليه السلام يريد بالامرأة زوجته ويقول إنها ستحبل وتلد ابنا وتصير أرض الملكين اللذين تخاف منهما خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير عن الشر كما صرح « الدكتور بلسن » أقول : هذا هو الحرى بالقبول وقريب من القياس » .

[إظهار الحق ١٩٨/١ ، ١٩٩ ، وفيما يختص بالقصة انظر إشعياء . الإصحاح السابع .

(١) تثنية [٣٢ : ٣٩] .

(٢) يوحنا [١٧ : ٣] .

(٣) سفر حَبَقُوق [٣ : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٣] .

(٤) فى المخطوطة « ويقول إرمياء أيضا بعد هذا » والنص ليس موجوداً فيه ، لكن فى سفر باروخ [٣ : ٣٨] .

(٥) فيما يختص بنبوتهما فإن السامريين ينكرون أى نبوة بعد موسى عليه السلام وباقى فرق اليهود تعترف بنبوتهما ، أما سفراهما فإن السامريين والصدوقيين يرفضونهما إلى جانب رفض البروتستانت من النصارى كذلك ويحكى لنا الشيخ رحمت الله قصة اعتراف النصارى بسفر باروخ فيقول : « انعقد بعد ذلك مجلس آخر فى سنة ٣٩٧ م ، ويسمى هذا المجلس مجلس « كارتيج » وكان من أهل هذا المجلس الفاضل المشهور عندهم « اكستاين » و ١٢٦ شخصاً غيره من العلماء المشهورين ، وأهل هذا المجلس أبقوا حكم المجلسين الأولين على حالهما ، وزادوا على حكمهما هذه الأسفار .. (وكان من ضمنها سفر باروخ) . لكن هذا المجلس جعلوا سفر باروخ بمنزلة جزء من سفر إرمياء لأن باروخ عليه السلام كان بمنزلة النائب والخليفة لإرميا

النقل عنهما ، وإلى مطابقة الترجمة من غير تحريف ـ وهذه « ثلاث مقامات » يعز عليكم إثباتها ـ لا يدل على أن المسيح هو خالق السموات والأرض ، وأنه إله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع ، ففى التوراة ما هو من هذا الجنس وأبلغ ولم يدل ذلك على أن موسى إله ولا أنه خارج عن جملة العبيد .

وقوله : « يتراءى » مثل « تجلى أو ظهر أو استعلن » ونحو ذلك من ألفاظ التوراة وغيرها من الكتب الإلهية ، وقد ذكر فى التوراة « أن الله تجلى وتراءى لإبراهيم وغيره من الأنبياء » ولم يدل ذلك على الإلهية لأحد منه ، ولم يزل فى عرف الناس ومخاطبتهم أن يقولوا : فلان معنا وهو بين أظهرنا ولم يمت . إذا كان عمله وسنته وسيرته بينهم ووصاياه يعمل بها بينهم ، وكذلك يقول القائل لمن مات والده : ما مات من خلف مثلك ، وأنا والدك . وإذا رأوا تلميذاً لعالم تعلم علمه قالوا : هذا فلان باسم أستاذه ، كما كان يقال عن عكرمة : « هذا ابن عباس » وعن أبى حامد : « هذا الشافعى » .

وإذا بعث الملك نائباً يقوم مقامه فى بلد يقول الناس : « جاء الملك » ، و « حكم الملك » ، و « رسم الملك » .

وفى الحديث الصحيح الإلهى : « **يقول الله عز وجل يوم القيامة : عبدى مرضت فلم تعدنى ، فيقول : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما إن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ، أما لو عدته لوجدتنى عنده ، عبدى جعت فلم تطعمنى ، فيقول : رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً استطعمك فلم تطعمه ، أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندى .عبدى استسقيتك فلم تسقنى ، فيقول : رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما إن عبدى فلاناً عطش فاستسقاك فلم تسقه ، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندى** »[1] ، وأبلغ من هذا قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح : ١٠] ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ** ﴾ [النساء : ٨٠] ، فلو استحل المسلمون ما استحللتم لكان استدلالهم بذلك على أن محمداً إله من جنس استدلالكم لا فرق بينهما !

وإن أوجبتم له الإلهية بقوله فى السِفر الثالث من أسفار الملوك : « والآن يارب إله إسرائيل يتحقق كلامك لداود لأنه هل يسكن الله مع الناس على الأرض ؟.. اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ، ولتنصت الأرض وكل من فيها ، فيكون الرب عليهم شاهداً ، ويخرج من موضعه ،

= السلام ، فإذا ، ما كتبوا اسم سفر باروخ على حدة فى فهرست أسماء الأسفار ، ثم انعقد بعد ذلك ثلاث مجالس كتبوا اسم سفر باروخ فى فهرست أسماء الأسفار على حدة » . [إظهار الحق ١/١٠١ ، ١٠٢] .

(١) صحيح مسلم البر والصلة . باب فضل عيادة المريض [٤٣] .

وينزل ، ويطأ على مشارق الأرض فى شأن خطيئة بنى يعقوب »[1] .. قيل لكم : هذا السِفر يحتاج أولاً إلى أن يثبت أن الذى تكلم به نبى[2] ، وأن هذا لفظه ، وأن الترجمة مطابقة له وليس ذلك بمعلوم . وبعد ذلك فالقول فى هذا الكلام كالقول فى نظائره مما ذكرتموه وما لم تذكروه ، وليس فى هذا الكلام ما يدل على أن المسيح خالق السموات والأرض ، وأنه إله حق غير مصنوع ولا مخلوق ، وأنه سكن فى الأرض ، فإن قوله : « هل يسكن الله مع الناس على الأرض ؟ » هو نفى للسكنى

جميع الرسل متفقون على التوحيد

وجميع النبوات من أولها إلى آخرها متفقة على أصول :

أحدها : أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لا شريك له فى ملكه ولا ند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع إلا من بعد إذنه .

الثانى : أنه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة .

الثالث : أنه غنى بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شىء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه .

الرابع : أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسِنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك .

الخامس : أنه لا يماثل شيئاً من مخلوقاته بل ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

السادس : أنه لا يحل فى شىء من مخلوقاته ولا يحل فى ذاته شىء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه .

السابع : أنه أعظم من كل شىء وأكبر من كل شىء وفوق كل شىء وعال على كل شىء وليس فوقه شىء البتة .

الثامن : أنه قادر على كل شىء فلا يعجزه شىء يريده بل هو الفعال لما يريد .

التاسع : أنه عالم بكل شىء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ﴿ **وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ، وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ** ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، لا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته .

---

(١) الملوك الأول [٨ : ٢٣ - ٣٤] .

(٢) هذا السفر كتبه عزرا وهو ليس بنبى ، فهو الذى حرف وغير وبدل فى التوراة وادعى أنها توراة موسى [انظر إظهار الحق لرحمت الله ١/١٠٦ ، ١٠٧] .

العاشر : أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات ، وبصره بجميع المبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات ، وقدرته بجميع المقدورات ، ونفذت مشيئته فى جميع البريات ، وعمت رحمته جميع المخلوقات ، ووسع كرسيه الأرض والسموات .

الحادى عشر : أنه الشاهد الذى لا يغيب ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

الثانى عشر : أنه الأبدى الباقى الذى لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت .

الثالث عشر : أنه المتكلم الآمر الناهى قائل الحق وهادى السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ، ومجازى المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

الرابع عشر : أنه الصادق فى وعده وخبره ، فلا أصدق منه قيلاً ، ولا أصدق منه حديثاً ، وهو لا يخلف الميعاد .

الخامس عشر : أنه تعالى صمد بجميع الصمدية ، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته .

السادس عشر : أنه قدوس سلام ، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص .

السابع عشر : أنه الكامل الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه .

الثامن عشر : أنه العدل الذى لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلماً .

فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل ، وهو من المحكم الذى لا يجوز أن تأتى شريعة بخلافه ولا يخبر نبى بخلافه أصلاً ، فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله ، وتمسكوا بالمتشابهة من المعانى والمجمل من الألفاظ ، وأقوال من ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل . وأصول المثلثة ومقالتهم فى رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة وتباينه أعظم المباينة .

فصل

نبوة محمد ﷺ تأكيد لنبوة سائر الأنبياء

لو لم يظهر محمد بن عبد الله ﷺ لبطلت نبوة سائر الأنبياء ، فظهور نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق ، فإرساله من آيات الأنبياء قبله ، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه فى قوله : ﴿ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ٣٧] ، فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه ؛ فمجيئه هو نفس صدق خبرهم ، فكان مجيئه تصديقاً لهم إذ هو تأويل

ما أخبروا به ، ولا تنافى بين هذا وبين القول الآخر ، إن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وإيمانه بهم فإنه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه ، وشهد بصدقهم بقوله ، ومثل هذا قول المسيح : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] ، فإن التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقاً لها ، ثم بشر برسول يأتى من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقاً له ، كما كان ظهوره تصديقاً للتوراة فعادة الله فى رسله أن السابق يبشر باللاحق ، واللاحق يصدق السابق ، فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله ، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره ، وقد كان بشر إبراهيم وهاجر بشارات بينات ولم نرها تَمَّتْ ولا ظهرت إلا بظهور رسول الله ﷺ ، فقد بشرت هاجر من ذلك بما لم تبشر به امرأة من العالمين غير مريم ابنة عمران بالمسيح على أن مريم بشرت به مرة واحدة ، وبشرت هاجر بإسماعيل مرتين ، وبشر به إبراهيم مراراً ، ثم ذكر الله سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على ألسنة الأنبياء ، ففى التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم : « قد أجبت دعاءك فى إسماعيل ، وباركت عليه ، وكبرته ، وعظمته »[1] ، هكذا فى ترجمة بعض المترجمين . وأما فى الترجمة التى ترجمها اثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود فإنه يقول : « وسيلد اثنى عشر أمة من الأمم » ، وفيها لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملاك الله ، وقال : « يا هاجر أمة سارة من أين أقبلت ؟ وإلى تذهبين ؟ قالت : هربت من سيدتى ، فقال لها الملاك : ارجعى إلى سيدتك واخضعى لها ، فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة ، ها أنت تحبلين وتلدين ابناً تسميه إسماعيل ؛ لأن الله قد سمع خشوعك ، وهو يكون عين الناس ، ويكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته »[2] ، وفى موضع آخر قصة إسكانها وابنها إسماعيل فى برية فاران ، وفيها : « فقال لها الملاك : يا هاجر ليهدأ روعك . فقد سمع الله تعالى صوت الصبى ، قومى فاحمليه وتمسكى به فإن الله جاعله لأمة عظيمة ، وأن الله فتح عينيها فإذا ببئر ماء فذهبت وملأت المزادة منه وسقت الصبى منه وكان الله معها ومع الصبى حتى ترلى ، وكان مسكنه فى برية فاران »[3] فهذه أربع بشارات خالصة بإسماعيل[4] ؛ نزلت اثنتان منها على إبراهيم ، واثنتان

---

(١) التكوين [١٧ : ٢٠] ونصه : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جدا . اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » .

(٢) التكوين [١٦ : ٨ - ١٢] .

(٣) التكوين [٢١ : ١٧ - ٢١] .

(٤) ثلاث بشارات فقط لأن ما نزل على إبراهيم نص واحد ، وبالتالى فهو بشارة واحدة لا بشارتان ، وعلى هذا فالمجموع ثلاث بشارات .

على هاجر . وفى التوراة أيضاً بشارات أخرى بإسماعيل وولده وأنهم أمة عظيمة جداً[1] ، وأن نجوم السماء تحصى ولا يحصون ، وهذه البشارة إنما تمت بظهور محمد بن عبد الله وأمته .

فإن « بنى إسحاق » كانوا لم يزالوا مطرودين مشردين خولاً[2] للفراعنة والقبط حتى أنقذهم الله بنبيه موسى بن عمران ، وأورثهم أرض الشام فكانت كرسى مملكتهم ثم سلبهم ذلك ، وقطعهم فى الأرض أمما مسلوبا عزهم . وملكهم ، قد أخذتهم سيوف السودان ، وعلتهم أعلاج[3] الحمران حتى إذا ظهر النبى ﷺ تمت تلك النبوات وظهرت تلك البشارات بعد دهر طويل وعلت بنو إسماعيل على من حولهم فهشموهم هشماً ، وطحنوهم طحناً ، وانتشروا فى آفاق الدنيا ، ومدت الأمم أيديهم إليهم بالذل والخضوع ، وعلوهم علو الثريا فيما بين الهند والحبشة والسوس الأقصى وبلاد الترك والصقالبة والخزر[4] ، وملكوا ما بين الخافقين وحيث ملتقى أمواج البحرين .

وظهر ذكر إبراهيم على ألسنة الأمم ، فليس صبى من بعد ظهور النبى ﷺ ولا امرأة ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا أنثى إلا وهو يعرف إبراهيم وآل إبراهيم .

وأما « **النصرانية** » وإن كانت قد ظهرت فى أمم كثيرة جليلة ، فإنه لم يكن لهم فى محل إسماعيل وأمه هاجر سلطان ظاهر ولا عز قاهر البتة ، ولا صارت أيدى هذه الأمة فوق أيدى الجميع ولا امتدت إليهم أيدى الأمم بالخضوع ، وكذلك سائر ما تقدم من البشارات التى تفيد بمجموعها العلم القطعى بأن المراد بها محمد بن عبد الله ﷺ وأمته .

فإنه لو لم يقع تأويلها بظهوره ﷺ لبطلت تلك النبوات ، ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لا يمكن الإيمان بالأنبياء المتقدمين إلا بالإيمان بالنبى الذى بشروا به قالوا : نحن فى انتظاره ولم يجىء بعد . ولما علم بعض الغلاة فى كفره وتكذيبه منهم أن هذا النبى فى ولد إسماعيل أنكروا أن يكون لإبراهيم ولد اسمه إسماعيل ، وأن هذا لم يخلقه الله .

ولا يكثر على أمة البهت وإخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك ، كما لم يكثر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة أن يطعنوا فى ديننا وينتقصوا نبينا ﷺ .

ونحن نبين أنهم لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية ولا معجزة إلا بإقرارهم أن محمداً رسول الله ، وإلا فمع تكذيبه لا يمكن أن يثبت للمسيح شيء من ذلك ألبتة .

---

(١) وردت بشارة فى التوراة وهى واضحة وضوح الشمس بألفاظها ومعانيها ، ففى سفر التكوين [٢١ : ١٢ ، ١٣] ورد ما نصه : « لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل وابن الجارية سأجعله أمة لأنه نسلك » وصحة الترجمة « سأجعله أمة لأن نسلك هو » كما ورد فى حاشية الكاثوليك . [محمد نبى الإسلام للطهطاوى ص ٤] وفى سفر التثنية [١٨ : ١٥ ، ١٨] ما نصه : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون .. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

(٢) الخَوَل : عطية الله من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الأتباع والحشم .

(٣) العِلْجُ : كلُّ جاف شديد من الرجال .

(٤) الخزر : هم البلغار أو الروس .

فنقول : إذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد ﷺ ، فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة ؟ ومن نقل إليكم عنه آية أو معجزة ؟ فإنكم إنما تبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخبرتم عن منام رؤى فأسرعتم إلى تصديقه[1] ، وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى فى العالم لأنه لا يقبل قول اليهود فيه ، ولاسيما وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعظائم ، فأخبار المسيح والصليب إنما شيوخكم فيها اليهود ، وهم فيما بينهم مختلفون فى أمره أعظم اختلاف ، وأنتم مختلفون معهم فى أمره .

فاليهود تزعم أنهم حين أخذه الرومان حبسوه فى السجن أربعين يوماً ، فقالوا لهم : ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم ، لأنه كان يداخله فى صناعة الطب عندهم . وفى الأناجيل التى بأيديكم « أنه أخذ صبح يوم الجمعة وصلب فى الساعة التاسعة من اليوم بعينه »[2] فمتى تتوافقون مع اليهود فى خبره ، واليهود مجمعون أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوماً وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم فعلاه فى طيرانه فسقط إلى الأرض بزعمهم .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم فى غير موضع ما يشهد أنه لا معجزة له ولا آية .

فمن ذلك أن فيه منصوصاً « أن اليهود قالوا له يوماً : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله تعالى ؟ فقال : أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه ، فقالوا له : وما آيتك التى ترينا لنؤمن بك وأنت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المن بالمفاوز ؟ قال : إن كان أطعمكم موسى خبزاً فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً »[3] يريد نعيم الآخرة فلو عرفوا له معجزة ما قالوا ذلك .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أن اليهود قالت له : « ما آيتك التى نصدقك بها ؟ » قال : « اهدموا البيت أبنيه لكم فى ثلاثة أيام »[4]، فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا ، ولو كان قد أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أيضاً : « أنهم جاؤوا يسألونه آية فقذفهم ، وقال : « جيل فاسق وشرير يطلب آية فلا تعطى له »[5].

وفيه أيضاً أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم : « إن كنت المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك » يطلبون بذلك آية فلم يفعل[6] .

(١) يشير المؤلف إلى المنام الذى رآه الملك قسطنطين . وسيذكره المؤلف بعد قليل عند شرحه للمجامع النصرانية .

(٢) متى [٢٧ : ٤٥ ، ٤٦] .

(٣) يوحنا [٦ : ٢٩ - ٣٣] .

(٤) يوحنا [٢ : ١٨ - ١٩] .

(٥) متى [١٦ : ١ - ٤ ، ١٢ : ٣٨ ، ٣٩] . لوقا [١١ : ٢٩] ونصه : « جيل شرير فاسق يلتمس آية . ولا تعطى له آية .. ثم تركهم ومضى » .

(٦) مرقس [١٥ : ٣٠] متى [٢٧ : ٤١] لوقا [٢٣ : ٣٥] .

فإذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يتحقق لعيسى ابن مريم آية ولا فضيلة ؛ فإن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها لاختلافكم فى شأنه أشد الاختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره .

وكذلك اجتمعت اليهود على أنه لم يدَّع شيئاً من الإلهية التى نسبتم إليه أنه ادّعاها ، وكان أقصى مرادهم أن يدّعى فيكون أبلغ فى تسلطهم عليه ؛ وقد ذكر السبب فى استفاضة ذلك عنه وهو أن أحبارهم وعلماءهم لما مضى وبقى ذكره خافوا أن تصير عامتهم إليه إذ كان على سنن تقبله قلوب الذين لا غرض لهم ، فشنعوا عليه أموراً كثيرة ، ونسبوا إليه دعوى الإلهية تزهيداً للناس فى أمره .

أخبارهم عن عيسى ونسبه غير موثوق بها

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف فى أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشىء من أخباره .

فمنهم من يقول : إنه كان رجلاً منهم ويعرفون أباه وأمه[1] ، وينسبونه لزانية[2] ! وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول التى لم يقرعها فحل قط قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ويسمون أباه الزانى باندارا الرومى ، وأمه مريم الماشطة ، ويزعمون ان زوجها يوسف من سبط يهوذا[3] وجد باندارا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها[4] .

ومن اليهود من رغب عن هذا القول وقال : إنما أبوه يوسف من سبط يهوذا الذى كان

---

(١) يقول يوحنا : «إن فيلبس وجد ثنائيل وقال له : وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذى من الناصرة» [يوحنا ١ : ٤٥] وفى مرقس «أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان . أوليست أخواته ههنا عندنا» [مرقس ٦ : ٣] وفى متى «أليس هذا ابن النجار . أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . أوليست أخواته جميعهن عندنا» [متى ١٣ : ٥٥ : ٥٦] .

(٢) جاء فى يوحنا ما نصه : «فقالوا له (اليهود) : إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد ، وهو الله» [يوحنا ٨ : ٤١] وانظر المسيح إنسان أم إله . الفصل الأول [ص ٢١ - ٣٠] .

(٣) يعلل الأستاذ محمد مجدى مرجان ربط اليهود بين عيسى ويوسف النجار بأن بنى إسرائيل كانوا أمة مذلولة الكرامة تستصرخ ربها يهوه أن يرسل إليها مسيحا يخلصها من عبودية الرومان ويعيد إليها مجد داود وذهب سليمان وكانت أكثر النبوءات شيوعاً عن المخلص الذى سيرسله الله لتحرير إسرائيل أنه سيكون من سلالة داود ، ملك العصر الذهبى لليهود ، من أجل هذا قرر كتاب الأناجيل أن عيسى من سلالة داود .. ولو كان عيسى ينتسب إلى داود من جهة أمه مريم لكان أمراً من الممكن قبوله ، ولكن الدهشة تعلو وجوهنا عندما نراهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار [متى ١ : ١ - ١٧ ، لوقا ١ : ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣] .. إن الربط بين عيسى ويوسف وداود برابطة القرابة وإن كان قد خدم القول بأن عيسى هو المسيح المنتظر إلا أنه هدم معجزة ميلاد عيسى الفريد ، وهذا ما دعا الكثيرين إلى إغفال ذكر حادث الميلاد لما أحاط به من شبهات وافتراءات . بل إن الكثيرين من تلاميذ عيسى اللصيقين به لا يعرفونه إلا بأنه ابن يوسف» [انظر المسيح إنسان أم إله . الفصل الأول [ص ٣٠ - ٣٥] .

(٤) انظر العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية [ص ١٨٦ ، ١٨٧] .

زوجاً لمريم ، ويذكرون أن السبب فى استفاضة اسم الزنا عليه : أنه بينا هو يوماً مع معلمه يهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ فى سَفَر فنزلوا موضعاً فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ فى كرامتهم ، فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة ؟ يريد أفعالها ، فقال عيسى ـ بزعمهم ـ : لولا عور فى عينها ، فصاح يهشوع وقال له : يامزار ـ ترجمته : يازنيم ـ أتزنى بالنظر ؟ وغضب منه غضباً شديداً ولما عاد إلى بيت المقدس حرم اسمه ولعنه فى أربعمائة قرن ، فحينئذ لحق ببعض قواد الروم وداخله بصناعة الطب فقوى بذلك على اليهود وهم يومئذ فى ذمة قيصر طيباريوس ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها إلى أن كان من أمره ما كان .

وطوائف من اليهود يقولون غير هذا ، ويقولون : إنه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ ، فقوى عيسى وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له : ما نظنك إلا زنيماً .

ومن اختلاف اليهود فى أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذى كان خطب مريم يوسف الذى من سبط يهوذا النجار . وبعضهم يقول : إنما هو يوسف الحداد[1] .

والنصارى تزعم أنها كانت ذات بعل وأن زوجها يوسف بن يعقوب ، وبعضهم يقول : يوسف بن هالى . وهم يختلفون أيضاً فى آبائه وعددهم إلى إبراهيم فمن مُقِل ومن مُكثر[2] .

فهذا ما عند اليهود وهم شيوخكم فى نقل الصلب وأمره . وإلا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى . وإنما حضره اليهود وقالوا : قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فإن صدقتموهم فى الصلب فصدقوهم فى سائر ما ذكروه ، وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم فى الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذى قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه ؛ بل صانه الله وحماه وحفظه ، وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود ؟

---

(١) بل أكثر من ذلك يقول التلمود : إن المسيح كان مجنوناً ، وهذا مطابق لما كان يعامله به هيرودس ومعاصروه الذين وصفوه بأنه ساحر .. ووصف التلمود المسيح أيضا بأنه كافر لا يعرف الله ، فيكون المسيحيون كفرة مثله . وجاء فى التلمود أن المسيحيين من عبدة الأصنام ، ويسميهم أيضاً اليهود المرتدون .. وجاء أيضاً فى التلمود الجديد أن تعاليم يسوع كفر ، وتلميذه يعقوب كافر ، والأناجيل كتب الكفار ، وقال الحاخام « اباربانيل » : المسيحيون كفار لأنهم يعتقدون أن الله لحم ودم .. [انظر من التلمود . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٧٤ ، ٧٥] .

(٢) يقول الحوارى متى عن نسب عيسى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم .. [متى ١ : ١ - ١٧] فقد نسب متى يوسف إلى يعقوب ، أما لوقا فقد نسبه إلى هالى يقول : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظنُّ ابن يوسف بن هالى .. » [لوقا ٣ : ٢٣] ولاحظ فى سياق عبارته كلمة « على ما كان يُظنّ » انظر إظهار الحق لرحمت الله حيث بين الأغلاط فى هذا النسب [١٩٥/١ - ١٩٧] . وانظر كذلك الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام .. للإمام القرطبى [٢٥٣/٢ ، ٢٥٤] .

وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة أشد اختلافاً فى معبودها ونبيها ودينها منكم ، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر ، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً . مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب ، وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبى ولا رسول ، وأنه إله فى الحقيقة ، وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبيين ، وأنه هو الذى أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات ، وأن للعالم إلهاً هو آب والد لم يزل ، وأن ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار هو وابنها الناسوتى إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً ، وحبلت به مريم وولدته ، وأخذ وصلب وألم ومات ودفن ، وقام بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه .

قالوا : والذى ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله ، فالقديم الأزلى خالق السموات والأرض هو الذى حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر ، وهو الذى ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يداه .

فرقهم اختلفت فى شخصية المسيح

ثم اختلفوا ، فقالت «**اليعقوبية**» ـ أتباع يعقوب البرادعى ولقب بذلك لأنه لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها ـ : إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين : **إحداهما** : طبيعة الناسوت ؛ **والأخرى** : طبيعة اللاهوت ، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً ، فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح ، وهو إله كله ، وإنسان كله ، وهو شخص واحد ، وطبيعة واحدة من طبيعتين . وقالوا : إن مريم ولدت الله ، وإن الله سبحانه قبض وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك[1] .

فصل : وقالت «**الملكية**»[2] ـ وهى الروم نسبة إلى دين الملك ـ لا إلى رجل يدعى ملكانياً هو صاحب مقالتهم كما يقوله بعض من لا علم له بذلك : إن الابن الأزلى الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس ، وركبت فى ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس ، وأنه صار إنساناً بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس ، وإلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل ، وهو إنسان بجوهر الناس

---

(١) انظر النصيحة الإيمانية لنصر بن يحيى المتطبب . الفصل الأول [ص ٥٨ ، ٥٩] .

(٢) فرقة نصرانية . يقال لهم أيضا : الملكانية أو الذين على دين ملك الرومان وأغلب الروم ملكانية . وقد كان لهذه الفرقة دور أساسى فى عقد المجمع الأول من مجامع النصارى والذى وضع فيه قانون «الأمانة» الذى يسيرون عليه إلى اليوم . [محاضرات فى النصرانية ص ١٤٦ وما بعدها ، الفصل لابن حزم ٤٨/١ ، والملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل ٥١/٢ ، ٥٢] .

مثل إبراهيم وموسى وداود ، وهو شخص واحد لم يزد عدده ، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل ، وصح له جوهر الناسوت الذى لبسه من مريم ، وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة ، فله بلاهوته مشيئة مثل الآب ، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود .

وقالوا : إن مريم ولدت « المسيح » وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت .

وقالوا : إن الذى مات هو الذى ولدته مريم ، وهو الذى وقع عليه الصلب والتسمير والصفع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألم ولم يدفن .

قالوا : وهو إله تام بجوهر لاهوته ، وإنسان تام بجوهر ناسوته ، وله المشيئتان : مشيئة اللاهوت ، ومشيئة الناسوت .. فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله إلا أنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت ، وإذا تدبرت قولهم وجدته فى الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه ، فاليعقوبية أطرد لكفرهم لفظاً ومعنى[1] .

وأما « **النسطورية** » فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة ، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة ، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصاناً ولايمتزج بشىء ، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان ، فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً ، فهو الإله بجوهر اللاهوت الذى لا يقبل الزيادة والنقصان ، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذى يقبل الزيادة والنقصان .

وقالوا : إن مريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط[2] .

وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد الله وهو لم يستنكف من ذلك ، ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله ، ومحمد وإبراهيم خير منه ، وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية ، فالله رضيه أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك .

وقالت « **الآريوسية** »[3] منهم وهم أتباع آريوس : إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل ، وهو مربوب مخلوق مصنوع ، وكان النجاشى على هذا المذهب .

وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة ، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح

(١) انظر النصيحة الإيمانية [ص ٦٠ - ٦٢] .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية [٥٩ ، ٦٠] .

(٣) فرقة الآريوسيين وهم أتباع آريوس المشهور بالموحد الذى كان قسيساً فى كنيسة الإسكندرية فى بداية القرن الرابع الميلادى وكان اعتقاده بأن المسيح مجرد بشر مخلوق وليس إلهاً أو ابنا لله ، وأتباع آريوس جميعاً أهل توحيد .. وتشيع لآريوس كثيرون فى الإسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية . وفى سنة ٣٢٥ م حكم مجمع نيقية بطرد آريوس وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح فبدأت هذه الفرقة فى الانقراض حتى انتهت . [انظر محمد نبى الإسلام ص ٧٣ ، الفصل لابن حزم ٤٧/١] ، والخريدة النفيسة ٢٨٦/١ وما بعدها] .

وشتمه أعظم سب .

والكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لا تفهم مقالة خواصهم على حقيقتها ؛ بل يقولون : إن الله تخطى مريم كما يتخطى الرجل المرأة وأحبلها فولدت له ابناً ، ولا يعرفون تلك الهذيانات التى وضعها خواصهم ، فهم يقولون : الذى تدندنون حوله نحن نعتقده بغير حاجة منا إلى معرفة الأقانيم الثلاثة من الطبيعتين والمشيئتين ، وذلك للتهويل والتطويل ، وهم يصرحون بأن مريم والدة الإله ، والله أبوه ، وهو الابن . فهذا الزوج ، والزوجة ، والولد ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩٥] .

نبينا يكشف الغمة ويبرىء المسيح وأمه

فهذا أقوال أعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من النصارى المثلثة عباد الصليب فبعث الله محمداً ﷺ بما أزال الشبهة فى أمره وكشف الغمة ، وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبهتهم وكذبهم عليهما ونزه رب العالمين وخالق المسيح وأمه مما افتراه عليه المثلثة عباد الصليب الذين سبوه أعظم السب .

فأنزل المسيح أخاه بالمنزلة التى أنزله الله بها ، وهى أشرف منازله ، فآمن به وصدقه ، وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين فى زمانها ، وقرر معجزات المسيح وآياته ، وأخبر عن ربه تعالى بتخليد من كفر بالمسيح فى النار وأن ربه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزهه وصانه أن ينال إخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم نالوه منه ؛ بل رفعه إليه مؤيداً منصوراً لم يشكه أعداؤه بشوكة ، ولا نالته أيديهم بأذى ، فرفعه إليه وأسكنه سماءه ، وسيعيده إلى الأرض ينتقم به من مسيح الضلال وأتباعه ، ثم يكسر به الصليب ، ويقتل به الخنزير ، ويعلى به الإسلام ، وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام .

فإذا وضع هذا القول فى المسيح فى كفة وقول عباد الصليب المثلثة فى كفة تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ما بينهما من التفاوت ، وأن تفاوتهما كتفاوت ما بينه وبين قول المغضوب عليهم فيه ، وبالله التوفيق .

فلولا محمد ﷺ لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذى هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلاً ؛ فإن هذا المسيح الذى أثبته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدى .

والمسيح الذى أثبته النصارى من أبطل الباطل لا يمكن وجوده فى عقل ولا فطرة . ويستحيل أن يدخل فى الوجود أعظم استحالة ، ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لأحد ثقة بمعقول أصلاً ؛ فإنَّ استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ، ولو صح ما يقولون لبطل العالم واضمحلت السموات والأرض وعدمت الملائكة والعرش والكرسى ولم يكن بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار .

ولا يستعجب من إطباق أمة الضلال الذين شهد الله أنهم أضل من الأنعام على ذلك فكل باطل فى الوجود ينسب إلى أمة من الأمم فإنها مطبقة عليه ، وقد تقدم ذكر إطباق الأمم العظيمة التى لا يحصيها إلا الله على الكفر والضلال بعد معاينة الآيات البينات ، فلعباد الصليب أسوة بإخوانهم من أهل الشرك والضلال .

مجامع النصارى

فصل : فى ذكر استنادهم فى دينهم إلى أصحاب « المجامع »[1] الذين كفر بعضهم بعضاً ولعن بعضهم بعضاً ، وتلقيهم أصول دينهم عنهم ، ونحن نذكر الأمر كيف ابتدأ ، وتوسط ، وانتهى ، حتى كأنك تراه عياناً ...

كان الله سبحانه قد بشر بالمسيح على ألسنة أنبيائه[2] ، من لدن موسى إلى زمن داود ومن بعده من الأنبياء ، وأكثر الأنبياء تبشيراً به داود ، وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه ، فلما بعث كفروا به بغياً وحسداً وشردوه فى البلاد وطردوه وحبسوه وهموا بقتله مراراً إلى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله ، فصانه الله وأنقذه من أيديهم ، ولم يمنه بأيديهم ، وشبه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِم عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١٥٦ ـ ١٥٨] ، وقد اختلف فى معنى قوله : ﴿ **وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُم** ﴾ فقيل المعنى : ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقى شبهه على غيره فصلبوا الشبه ، وقيل المعنى : ولكن شبه للنصارى أى حصلت لهم الشبهة فى أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب ؛ ولكن لما قال أعداؤه : إنهم قتلوه وصلبوه

---

(١) المجمع : موضع الاجتماع .

(٢) ليس كما فهمه المؤلف - المسيح المنتظر كما بشر به الأنبياء هو عيسى ابن مريم عليه السلام ، لكن كل البشارات التى وردت تنطبق على محمد ﷺ وقد تطورت فكرة المسيح المنتظر . وهى فكرة سجها اليهود من مسح الكهنة والملوك والأنبياء بالزيت المقدس - خاصة فى الضيقات والملمات - إلى فكرة المخلص الذى يرسله يهوه لتحرير شعبه المقدس وإخضاع باقى الأمم والشعوب له . [لوقا ١ : ٣٢] لكن ما لبثت أحلام اليهود أن تحطمت على صخرة عيسى العبسة فبدأوا يدبرون لقتله وصلبه . [انظر المسيح إنسان أم إله . الفصل الأول] .

واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة فى أمره ، وصدقهم النصارى فى صلبه لتتم الشناعة عليهم، وكيف ماكان فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ولم يصلب يقيناً لاشك فيه.

ثم تفرق الحواريون فى البلاد بعد رفعه ، على دينه ومنهاجه يدعون الأمم إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه ، فدخل كثير من الناس فى دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور ، وأعداء الله اليهود فى غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه ، ولقى تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك ، وكان اليهود فى زمن المسيح فى ذمة الروم وكانوا ملوكاً عليهم ، وكتب نائب الملك ببيت المقدس إلى الملك يعلمه بأمر المسيح وتلاميذه وما يفعل من العجائب الكثيرة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، فَهَمَّ أن يؤمن به ويتبع دينه فلم يتابعه أصحابه ، ثم هلك وولى بعده ملك آخر فكان شديداً على تلامذة المسيح .

ثم مات وولى بعده آخر ، وفى زمنه كتب « مرقس » إنجيله بالعبرانية ، وفى زمانه صار إلى الإسكندرية فدعا إلى الإيمان بالمسيح ، وهو أول شخص جعل بتركاً على الإسكندرية ، وصير معه اثنى عشر قسيساً على عدة نقباء[1] بنى إسرائيل فى زمن موسى وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الاثنى عشر واحداً يجعلونه مكانه ، ويضع الإثنى عشر أيديهم على رأسه ويبركونه ، ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً يصيرونه تمام العدة .

ولم يزل أمر القوم كذلك إلى زمن قسطنطين . ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أى بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم ، ثم سموه «بابا» ومعناه أبو الآباء .

وخرج « مرقس » إلى « بُرْقَة » يدعو الناس إلى دين المسيح ، ثم ملك آخر فأهاج على أتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب ، وفى عصره كتب « بطرس » رئيس الحواريين إنجيل مرقس عنه بالرومية ، ونسبه إلى مرقس .

وفى عصره كتب « لوقا » إنجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم ، وكتب له الابركسيس الذى فيه أخبار التلاميذ . وفى زمنه صلب « بطرس » ، وزعموا أن بطرس قال له : إن أردت أن تصلبنى فاصلبنى منكساً لئلا أكون مثل سيدى المسيح فإنه صلب قائماً ، وضرب عنق بولس بالسيف[2] ، وأقام بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة ، وأقام « مرقس » بالإسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح ، ثم قتل بالإسكندرية وأحرق جسده بالنار[3] .

---

(١) النقيب : كبير القوم المعنى بشئونهم .

(٢) انظر الخريدة النفيسة [١/٣٥ - ٤٢] .

(٣) انظر الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة [١/٥٨ - ٦٤] .

ثم استمرت القياصرة ملوك الروم على هذه السيرة إلى أن ملك مصر قيصر يسمى « طيطس » فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم ، وقتل من كان بها من ذكر وأنثى حتى كانوا يشقون بطون الحبالى ويضربون بأطفالهن الصخور ، وخرب المدينة وأضرم فيها النار ، وأحصى القتلى على يده فبلغوا ثلاثة آلاف ألف

ثم ملك ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد على اليهود جداً ، فبلغوه أن النصارى يقولون : إن المسيح ملكهم وأن ملكه يدوم إلى آخر الدهر فاشتد غضبه وأمر بقتل النصارى وأن لا يبقى فى ملكه نصرانى ، وكان « يوحنا » صاحب الإنجيل هناك فهرب ، ثم أمر الملك بإكرامهم وترك الاعتراض عليهم .

ثم ملك بعده آخر فأثار على النصارى بلاء عظيماً ، وقتل بَتْرَك أنطاكية برومية ، وقتل أسقف بيت المقدس وصلبه وله يومئذ مائة وعشرون سنة ، وأمر باستعباد النصارى فاشتد عليهم البلاء إلى أن رحمتهم الروم وقال له وزراؤه : إن لهم ديناً وشريعة وإنه لا يحل استعبادهم فكف عنهم ، وفى عصره كتب يوحنا إنجيله بالرومية[1] ، وفى ذلك العصر رجع اليهود إلى بيت المقدس ، فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا على أن يملكوا منهم ملكاً فبلغ الخبر قيصر فوجه إليهم جيشاً فقتل منهم من لا يحصى ، ثم ملك بعده آخر وأخذ الناس بعبادة الأصنام ، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً ، ثم ملك بعده ابنه وفى زمانه قتل اليهود ببيت المقدس قتلاً ذريعاً وخرب بيت المقدس ، وهرب اليهود إلى مصر وإلى الشام والجبال والأغوار وتقطعوا فى الأرض ، وأمر الملك أن لا يسكن بالمدينة يهودى ، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا ، وأن يسكن المدينة اليونانيون .

وامتلأ بيت المقدس من اليونانيين ، والنصارى ذمة تحت أيديهم ، فرأوهم يأتون إلى مزبلة هناك فيصلون فيها فمنعوهم من ذلك ، وبنوا على المزبلة هيكلاً باسم « **الزهرة** » فلم يمكن النصارى بعد ذلك قربان ذلك الموضع ، ثم هلك هذا الملك وقام بعده اخر فنصب يهوذاً أسقفاً على بيت المقدس ، قال ابن البطريق : « فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الأول إلى يهوذا أسقفه هذا كانت الأساقفة الذين على بيت المقدس كلهم مختونين ، ثم ولى بعده آخر وأثار على النصارى بلاء شديداً وحرباً طويلاً ووقع فى أيامه قحط شديد كاد الناس أن يهلكوا فسألوا النصارى أن يبتهلوا إلى إلههم فدعوا وابتهلوا إلى الله فمطروا وارتفع عنهم القحط والوباء » . قال ابن البطريق : « وفى زمانه كتب بترك الإسكندرية إلى أسقف بيت المقدس وبترك أنطاكية وبترك رومية فى كتاب فصح النصارى وصومهم وكيف يستخرج

(١) انظر الخريدة النفيسة [١/٤٦ - ٥٠] .

من فصح اليهود ، فوضعوا فيها كتباً على ما هى اليوم » ، قال : « وذلك أن النصارى كانوا بعد صعود المسيح إذا عيدوا عيد الغطاس من الغد ، يصومون أربعين يوماً ويفطرون كما فعل المسيح ، لأنه لما اعتمد بالأردن خرج إلى البرية فأقام بها أربعين يوماً ، وكان النصارى إذا أفصح اليهود عيَّدوا هم الفصح ، فوضع هؤلاء البتاركة حساباً للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح ، وكان المسيح يُعيِّد مع اليهود فى عيدهم » .

واستمر على ذلك أصحابه إلى أن ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقيب الغطاس بل نقلوا الصوم إلى وقت لا يكون عيدهم مع اليهود .

ثم مات ذلك الملك وقام بعده آخر ، وفى زمنه كان « جالينوس » وفى زمنه ظهرت الفرس وغلبت على بابل وآمد وفارس . وتملك أزدشير بن بابك فى اصطخر وهو أول مَلِك مَلَك على فارس فى المدة الثانية ، ثم مات قيصر وقام بعده آخر ، ثم آخر وكان شديداً على النصارى عذبهم عذاباً عظيماً وقتل خلقاً كثيراً منهم ، وقتل كل عالم فيهم ، ثم قتل من كان بمصر والإسكندرية من النصارى ، وهدم الكنائس ، وبنى بالإسكندرية هيكلاً وسماه هيكل **«الآلهة»** ثم قام بعده قيصر آخر ، ثم آخر وكانت النصارى فى زمنه فى هدوء وسلامة ، وكانت أمه تحب النصارى .

ثم قام بعده آخر فأثار على النصارى بلاء عظيماً وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأخذ الناس بعبادة الأصنام ، وقتل من الأساقفة خلقاً كثيراً ، وقتل بترك أنطاكية فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسى ثم هلك ، وقام بعده آخر ، ثم آخر .

وفى أيام هذا ظهر **«مانى»** الكذاب وزعم أنه نبى ، وكان كثير الحيل والمخاريق ، فأخذه بهرام ملك الفرس فشقه نصفين ، وأخذ من أتباعه مائتى رجل فغرس رؤوسهم فى الطين منكسين حتى ماتوا .

ثم قام من بعده **«فيلبس»** فآمن بالمسيح فوثب عليه بعض قواده فقتله ، ثم قام بعده « دانقيوس » ويسمى **«دقيانوس»** فلقى النصارى منه بلاء عظيماً وقتل منهم ما لا يحصى ، وقتل بترك رومية ، وبنى هيكلاً عظيماً وجعل فيه الأصنام ، وأمر أن يسجد لها ويذبح لها ومن لم يفعل قتل ، فقتل خلقاً كثيراً من النصارى وصلبوا على الهيكل ، واتخذ من أولاد عظماء المدينة سبعة غلمان فجعلهم خاصته وقدمهم على جميع من عنده ، وكانوا لا يسجدون للأصنام فأعلم الملك بخبرهم فحبسهم ثم أطلقهم ، وخرج إلى مخرج له فأخذ الفتية كل ما لهم فتصدقوا به ، ثم خرجوا إلى جبل فيه كهف كبير فاختفوا فيه وصب الله عليهم النعاس فناموا كالأموات ، وأمر الملك أن يبنى عليهم باب الكهف ليموتوا[1] ، فأخذ قائد من قواده صفيحة

---

(١) يقول ابن كثير فى تفسيره : «وقد قيل : إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذى دخلوه فقالوا : ما كنا نريد =

من نحاس فكتب فيها أسماءهم وقصتهم مع دقيانوس وصيرها فى صندوق من نحاس ودفنه داخل الكهف وسده . ثم مات الملك[1].

بولس أول من ابتدع فى شأن المسيح اللاهوت والناسوت

ثم قام بعده قيصر آخر . وفى زمنه جعل فى أنطاكية بتركاً يسمى « بولس الشمشاطى »[2] وهو أول من ابتدع فى شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبدٌ رسول مخلوق مصنوع مربوب ، لا يختلف فيه اثنان منهم ، فقال بولس هذا ـ وهو أول من أفسد دين النصارى ـ : إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا فى جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله . وقال : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد .

قال سعيد بن البطريق : « وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً فى مدينة أنطاكية ونظروا فى مقالة « بولس » فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا » .

ثم قام قيصر آخر فكانت النصارى فى زمنه يصلون فى المطامير[3] والبيوت فَزَعاً من الروم ، ولم يكن بترك الإسكندرية يظهر خوفاً أن يقتل ، فقام بارون بتركا فلم يزل يدارى الروم حتى بنى بالإسكندرية كنيسة ، ثم قام قياصرة آخر منهم اثنان تملكا على الروم إحدى وعشرين سنة فأثارا على النصارى بلاء عظيماً وعذاباً أليما وشدة تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الحريم والأموال وقتل ألوف مؤلفة من النصارى ، وعذبوا « هار

= منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك . وفى هذا نظر والله أعلم . فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم فى الكهف بكرة وعشياً كما قال تعالى « [٧٥/٣] .

(١) أصحاب الكهف الذين ذكر القرآن قصتهم مفصلة .. قال ابن كثير فى تفسيره : « وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح فالله أعلم . والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم .. فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ فى كتب أهل الكتاب وأنه مقدم على دين النصرانية والله أعلم » [٧٤/٣] وفى البداية والنهاية يؤكد ابن كثير كلامه فيقول : « قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم إنهم كانوا فى زمن ملك يقال له دقيانوس .. » [١١٤/٢] وبأقوال ابن كثير وبأحداث التاريخ نصل إلى حقيقة تنقض ما ذكره ابن كثير فى البداية من أنهم كانوا قبل ملة النصرانية ، فدقيانوس كان بعد ظهور المسيح بما لا يقل عن قرن من الزمان ، لكنه كان ملكاً وثنياً يضطهد المسيحيين .

(٢) جاء فى كتاب الخريدة النفيسة أن من أهل البدع والأضاليل . من وجهة نظرهم - بولس السميساطى بطرك أنطاكية ذهب إلى أنه يوجد إله واحد تسميه الكتب المقدسة أباً ، وأن كلمته ليست أقنوما بل إنها فى العقل الإلهى بمقام الفهم فى عقل البشر وأن المسيح إنسان محض ولد من مريم وفيه حلت الحكمة الإلهية حتى أصبح مقتدراً على صنع العجائب ولما قدم على الصلب فارقته الحكمة .. [٢٢٩/١] .

(٣) المطامير : مكان تحت الأرض قد هُيِّىء فيه البُرُّ والفول ونحوه وتأتى بمعنى السجن ومفردها : المطمورة .

جرجس »[1] أصناف العذاب ثم قتلوه ، وفى زمنهما ضربت عنق « بطرس » بترك الإسكندرية ، وكان له تلميذان ، وكان فى زمنه « آريوس » يقول : « إن الآب وحده الله الفرد الصمد والابن مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الابن » ، فقال بطرس لتلميذيه : « إن المسيح لعن آريوس فاحذرا أن تقبلا قوله ؛ فإنى رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، فقلت : يا سيدى ! من شق ثوبك ؟ فقال لى : « آريوس » . فاحذ أن تقبلوه أو يدخل معكم الكنيسة »[2] .

وبعد قتل بطرس بخمس سنين صُيِّر أحد تلميذيه بتركاً على الإسكند م ستة أشهر ومات ، ولما جرى على آريوس ما جرى أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله ا ابترك وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً ، ثم قام قيصر آخر فجعل يتطلب النصارى م حتى صب الله عليه النقمة فهلك شر هلكة .

ثم قام بعده قيصران : أحدهما : ملك الشام وأرض الروم وبعض الشرق ، والآخر : رومية وما جاورها ، وكانا كالسباع الضارية على النصارى فعلا بهم من القتل والسبى والجلاء ما لم يفعله بهم ملك قبلهما ، وملك معهما « قسطنطين » أبو قسطنطين ، وكان دِيِّناً يبغض الأصنام محباً للنصارى ، فخرج إلى ناحية الجزيرة والرها ، فنزل فى قرية من قرى الرها فرأى امرأة جميلة يقال لها « هيلانة » وكانت قد تنصرت على يدى أسقف « الرها » وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطين من أبيها فزوجه إياها ، فحبلت منه وولدت قسطنطين فتربى بالرها ، وتعلم حكمة اليونان ، وكان جميل الوجه قليل الشر محباً للحكمة .

وكان « مكسنتيوس »[3] ملك الروم حينئذ رجلاً فاجراً شديد البأس مبغضاً للنصارى جداً ، كثير القتا فيهم ، محباً للنساء ، لم يترك للنصارى بنتاً جميلة إلا أفسدها وكذلك أصحابه ، وكا نصارى فى جهد جهيد معه ، فبلغه خبر قسطنطين وأنه غلام هاد قليل الشر كثير ال ، وأخبره المنجمون والكهنة أنه سيملك ملكاً عظيماً فهم بقتله فهرب قسطنطين من الرها ، ووصل إلى أبيه فسلم إليه المُلك ، ثم مات أ وصب الله على « مكسنتيوس » أنواعاً من البلاء حتى تعجب الناس مما ناله ورحمه أعدا ما حل به ، فرجع إلى نفسه وقال : لعل هذا بسبب ظلم النصارى فكتب إلى جميع عماله أن يطلقوا النصارى من الحبوس ، وأن يكرموهم ويسألوهم أن يدعوا له فى صلواتهم ، فوهب الله له العافية ورجع إلى أفضل ما كان عليه من الصحة والقوة .

(١) كلمة « مار » معناها : قديس . ومار جرجس هو القديس جاورجيوس . [السقا] .

(٢) انظر الخريدة النفيسة [١/٢٣٠] .

(٣) فى المخطوطة عليانوس وفى تاريخ ابن البطريق الذى يعتمد عليه المؤلف نقلا عن الجواب الصحيح لابن تيمية « علانيوس » ويرى الدكتور السقا : أن الصحيح نقلا عن يوسابيوس القيصرى فى كتابه « حياة قسطنطين العظيم » « مكسنتيوس » .

فلما صح وقوى رجع إلى شر مما كان عليه، وكتب إلى عماله أن يقتلوا النصارى ولايدعوا فى مملكته نصرانياً ولا يسكنوا له مدينة ولا قرية ، فكان القتلى يحملون على العجل ويرمى بهم فى البحر والصحارى . وأما « قيصر الآخر » الذى كان معه فكان شديداً على النصارى ، واستعبد من كان برومية من النصارى ، ونهب أموالهم ، وقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم .

شارة الصليب ابتدعها قسطنطين

فلما سمع أهل رومية بقسطنطين وأنه مبغض للشر محب للخير وأن [illegible] كته معه فى هدوء وسلامة كتب رؤساؤهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم . فرأ كتبهم اغ[illegible] غماً شديداً وبقى متحيراً لا يدرى كيف يصنع .

قال سعيد بن البطريق : « فظهر له على ما يزعم النصارى نص[illegible] [illegible]ى السماء صليب » من كوكب مكتوباً حوله : « بهذا تغلب .. » فقال لأصحابه [illegible] يتم ما رأيت ؟ قالوا : نعم . فآمن حينئذ بالنصرانية[1] فتجهز لمحاربة قيصر المذكور ، وصنع صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس البند[2] ، وخرج بأصحابه فأعطى النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقى من أصحابه ، فخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالإكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحا عظيما ، فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم إلى بلادهم بعد النفى والتشريد ، وأقام أهل رومية سَبْعَةَ أيام يُعَيِّدون للملك وللصليب .

فلما سمع « مكسنتيوس » جمع جموعه وتجهز للقتال مع قسطنطين . فلما وقعت العين فى العين انهزموا وأخذتهم السيوف . وأفلت « مكسنتيوس » فلم يزل من قرية إلى قرية حتى وصل إلى بلده . فجمع السحرة والكهنة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب أعناقهم لئلا يقعوا فى يد قسطنطين ، وأمر ببناء الكنائس ، وأقام فى كل بلد من بيت المال الخراج فيما تعمل به أبنية الكنائس ، وقام بدين النصرانية حتى ضرب بجرانه[3] فى زمانه .

فلما تم له خمس عشر سنة من ملكه حَاجَّ النصارى فى أمر المسيح واضطربوا ، فأمر بالمجمع فى مدينة « نيقية » وهى التى رتبت فيها « الأمانة » بعد هذا المجمع ــ كما سيأتى ــ فأراد آريوس أن يدخل معهم فمنعه بترك الإسكندرية ، وقال إن بطرسا قال لهم : إن الله لعن آريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة ، وكان على مدينة « أسيوط » من عمل مصر أسقف يقول بقول آريوس فلعنه أيضاً . وكان بالإسكندرية هيكل عظيم على اسم « زحل » وكان فيه صنم من

---

(١) انظر الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام (٢/٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(٢) البَنْد : العلم الكبير (فارسى معرب) .

(٣) الجَرَان : باطن العنق من البعير وغيره . يقال : ضرب الإسلام بجرانه : ثبت واستقر .

نحاس يسمى (ميكائيل) ، وكان أهل مصر والإسكندرية فى اثنى عشر يوما من شهر هاتور وهو تشرين الثانى **يُعَيِّدُون** لذلك الصنم عيدا عظيما ويذبحون له الذبائح الكثيرة .

فلما ظهرت النصرانية بالإسكندرية أراد بتركها أن يكسر الصنم ويبطل الذبائح له ، فامتنع عليه أهلها ، فاحتال عليهم بحيلة ، وقال : لو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملاك الله لكان أولى . فإن هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فأجابوه إلى ذلك ، فكسر الصنم وجعل منه صليبا وسمى الهيكل « كنيسة ميكائيل » فلما منع بترك الإسكندرية آريوس من دخول الكنيسة ولعنه خرج آريوس : مستعديا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا إلى قسطنطين ، وقال آريوس : إنه تعدى علىّ وأخرجنى من الكنيسة ظلما ، وسأل الملك أن يشخص[1] بترك الإسكندرية يناظره قدام الملك ، فوجه قسطنطين برسول إلى الإسكندرية فأشخص البترك وجمع بينه وبين آريوس ليناظره ، فقال قسطنطين لآريوس : اشرح « مقالتك » ! قال آريوس : « أقول إن الآب كان إذ لم يكن الابن ، ثم إنه أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق ، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما ، كما قال فى إنجيله إنْ يقول « وهب لى سلطانا على السماء والأرض »[2] فكان هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك ، ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً ، فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد إلا أنهما جميعاً مخلوقان » .

فأجابه عند ذلك بترك الإسكندرية ، وقال : « تخبرنا الآن : أيما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا ؟ » قال آريوس : « بل عبادة من خلقنا » فقال له البترك : « **فإن كان خالقنا الابن كما وصفت . وكان الابن مخلوقاً فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الآب** الذى ليس بخالق : بل تصير عبادة الآب الذى خلق الابن كفراً وعبادة الابن المخلوق إيمانا ، وذلك من أقبح الأقاويل » ..

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البترك . وشنع عندهم مقالة آريوس ، ودارت بينهما أيضاً مسائل كثيرة ، فأمر قسطنطين البترك أن يكفر آريوس وكل من قال بمقالته ، فقال له : بل يوجه الملك بشخص للبتاركة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع فيه قضية ويكفر آريوس . ويشرح الدين ويوضحه للناس .

فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان فجمع البتاركة والأساقفة فاجتمع فى مدينة نيقية بعد سنة وشهرين . ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً ، فكانوا مختلفى الآراء ، مختلفى الأديان .

---

(١) شخص من بلده ، وعنه : خرج ، وشخص إليه : رجع وأشخص فلانٌ : حان سيره . وأشخص فلانا إليه : بعث به .

(٢) متى [٢٨ : ١٨] ونصه : « دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » .

فمنهم من يقول : المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم « المريمانية »[1]

ومنهم من يقول : المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم ينقص من الأولى لإيقاد الثانية منها .

ومنهم من كان يقول : لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور فى بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب[2] لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه مقالة الباريليدس وأشياعه[3] .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وإن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجواهر الإنسية صحبته النعمة الإلهية فحلت منه بالمحبة والمشيئة فلذلك سمى ابن الله ، ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس وهذه « مقالة بولس وأشياعه » .

ومنهم من كان يقول : ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما هذه « مقالة مرقيون وأشياعه »[4] .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح ، وهى مقالة « ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا » .

قال ابن البطريق : ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالإكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه ، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأى واحد .

وناظر بقية الأساقفة المختلفين ففلجوا[5] عليهم فى المناظرة ، وكان باقى الأساقفة مختلفى الآراء والأديان فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيماً وجلس فى وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفع ذلك إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على المملكة فاصنعوا ما

---

(١) سماها ابن حزم فى الفصل « البربرانية » وهم يقولون : إن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل . وهذه الفرقة قد بادت [١/٤٧ ، ٤٨] وسماها صاحب كتاب « محمد نبى الإسلام .. » فرقة الريدانية [صـ ٧٦] .

(٢) الميزاب : أنبوبة من الحديد ونحوه تركب فى جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع .

(٣) فرقة اليان ــ كما ورد فى تاريخ ابن البطريق ــ كانت تذهب إلى القول بأن المسيح إله وأنه ابن الله وأنه مر فى بطن أمه كما يمر الماء فى الميزاب لأن الكلمة الابن دخلت من أذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد .. وقد انقرضت هذه الفرقة بعد القرن الثالث عشر الميلادى حيث كان أتباعها باليمن والشام وأريمينية [محمد نبى الإسلام صـ ٧٦] .

(٤) طائفة تدعى بالمرقيونيين نسبة إلى زعيمها مرقيون أو مرسيون كان قسيساً من رجال القرن الثانى الميلادى حكم عليه بالطرد والحرمان لاعتقاده بوجود إلهين أحدهما إله عادل كان قد اتخذ من بنى اسرائيل شعباً مختاراً له وأنزل عليهم التوراة ، أما إله الخير فهو إله آخر ظهر متمثلاً فى المسيح وخلص الإنسان من الخطايا وأبطل أعمال الإله الأول وبناء على ذلك فإن هذا المذهب لا يرى قدسية لكتب العهد القديم بل يرفضها جميعها ، وهو يرفض كتب العهد الجديد أيضا ولا يعتمد إلا على إنجيل خاص هو إنجيل مرقيون . وقد انقرضت هذه الفرقة حوالى القرن العاشر الميلادى . [محمد نبى الإسلام صـ ٧٥ ، ٧٦].

(٥) فلج : ظفر . ويقال : فلج بحجته : أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه .

بدا لكم وما ينبغى لكم أن تصنعوا ما فيه قوام الدين وصلاح الأمة ، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه ، وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها .

وكان رئيس القوم والمجمع والمقدم فيه بترك الإسكندرية وبترك أنطاكية وأسقف بيت المقدس .

ووجه بترك رومية من عنده رجلين فاتفق الكل على لعن آريوس وأصحابه ولعنوه وكل من قال بمقالته ، ووضعوا « الأمانة » وقالوا : إن الابن مولود من الآب قبل كون الخلائق وإن الابن من طبيعة الآب غير مخلوق ، واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الأحد ليكون بعد فصح اليهود ، وأن لا يكون فصح اليهود مع فصحهم فى يوم واحد ، ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة ، وذلك أن الأساقفة منذ وقت الحواريين إلى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء ؛ لأنهم كانوا إذا صيروا واحداً أسقفاً وكانت له زوجة ثبتت معه ولم تتنح عنه ما خلا البتاركة فإنهم لم يكن لهم نساء ، ولا كانوا أيضاً يصيرون أحداً له زوجة بتركا .

قال : « وانصرفوا مكرمين محظوظين ، وذلك فى سبعة عشر سنة من ملك قسطنطين الملك ، ومكث بعد ذلك ثلاث سنين[1] :

إحداها : كسر الأصنام وقتل من يعبدها .

والثانية : أمر أن لا يثبت فى الديوان إلا أولاد النصارى ، ويكونون هم الأمراء والقواد .

والثالثة : أن يقيم الناس جمعة الفصح والجمعة التى بعدها لا يعملون فيها عملا ولا يكون فيها حرب . وتقدم قسطنطين إلى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب ويبنى الكنائس ، ويبدأ ببناء القيامة ، فقالت هيلانة أمه : إنى نذرت أن أسير إلى بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة وأبنيها ، فدفع إليها الملك أموالا جزيلة ، وسارت مع أسقف بيت المقدس ، فبنت كنيسة القيامة فى موضع الصليب وكنيسة قسطنطين .

ثم اجتمعوا بعد هذا مجمعاً عظيما ببيت المقدس ، وكان معهم رجل دسه بترك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بترك الإسكندرية ، وكان هذا الرجل لما رجع إلى الملك أظهر أنه مخالف لآريوس ، وكان يرى رأيه ويقول بمقالته ، فقام الرجل وقال : « إن آريوس لم يقل إن المسيح خلق الإنسان ولكن قال : « به خلقت الأشياء لأنه كلمة الله التى بها خلقت السموات والأرض ، وإنما خلق الله الأشياء بكلمته ، ولم تخلق الأشياء كلمته » كما قال المسيح فى الإنجيل

---

(١) لا يستقيم سياق العبارة بهذا الشكل والصحيح كما ورد فى تاريخ ابن البطريق نقلا عن الجواب الصحيح « وسَنَّ قسطنطين الملك ثلاث سنن .. » [٣/٢٥] .

« كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء »[1] ، وقال : « به كانت الحياة والحياة نور البشر »[2] ، وقال : « العالم به يكون »[3] فأخبر أن الأشياء به تكونت .

قال ابن الطريق : « فهذه كانت مقالة آريوس ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وحرموه ظلماً وعدواناً ، فرد عليه بترك الإسكندرية وقال : « أما آريوس فلم تكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه لأنه إنما قال : الابن خالق الأشياء دون الآب ، وإذا كانت الأشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الآب لها خالقاً فقد أعطى أنه ما خلق منها شيئاً ، وفى ذلك تكذيب قوله : « الآب يخلق ، وأنا أخلق »[4] ، وقال : « إن أنا لم أعمل عمل أبى فلا تصدقونى »[5] ، وقال : « كما أن الآب يحيى من يشاء ويميته ، كذلك الابن يحيى من يشاء ويميته »[6] ، قالوا : فدل على أنه يحيى ويخلق ، وفى هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خلقت الأشياء به دون أن يكون خالقاً .

وأما قولك : إن الأشياء كونت به فإنا لما قلنا : لا شك أن المسيح حى فعال وكان قد دل بقوله : « إنى أفعل الخلق والحياة » كان قولك : « به كونت الأشياء » إنما هو راجع فى المعنى إلى أنه كونها وكانت به مكونة ، ولو لم يكن ذلك لتناقض القولان .

قال : « وأما قول من قال من أصحاب آريوس : إن الآب يريد الشيء فيكونه الابن والإرادة للآب والتكوين للابن ، فإن ذلك يفسد أيضاً إذا كان الابن عنده مخلوقا ، فقد صار حظ المخلوق فى الخلق أو فى من حظ الخالق فيه ، وذلك أن هذا أراد وفعل . وذلك أراد ولم يفعل فهذا أوفر حظا فى فعله من ذلك ، ولابد لهذا أن يكون فى فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه ، ويكون حكمه كحكمه فى الخير والاختيار ، فإن كان مجبوراً فلا شيء له فى الفعل ، وإن كان مختاراً فجائز أن يطاع وجائز أن يعصى ، وجائز أن يثاب وجائز أن يعاقب . وهذا أشنع فى القول » .

ورد عليه أيضاً وقال : « إن كان الخالق إنما خلق خلقه بمخلوق والمخلوق غير الخالق بلاشك فقد زعمتم أن الخالق بغيره والفاعل بغيره محتاج إلى متمم ليفعل به إذ كان لا يتم له الفعل إلا به ، والمحتاج إلى غيره منقوص والخالق متعال عن هذا كله » .

قال : « فلما دحض بترك الإسكندرية حجج أولئك المخالفين وظهر لمن حضر بطلان

---

(١) يوحنا [١ : ٣] ونصه : « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » .

(٢) يوحنا [١ : ٤] ونصه : « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » .

(٣) يوحنا [١ : ١٠] ونصه : « كان فى العالم وكُوِّن العالم به ... »

(٤) يوحنا [٥ : ١٧] ونصه : « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » .

(٥) يوحنا ٥ : ٣٦ ونصه « لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى » .

(٦) يوحنا [٥ : ٢١] .

قولهم ، وتحيروا وخجلوا وثبوا على بترك الإسكندرية فضربوه حتى كاد يموت ، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين ، وهرب بترك الإسكندرية وصار إلى بيت المقدس من غير حضور أحد من الأساقفة ، ثم أصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون ، وسار إلى الملك فأعلمه الخبر فصرفه إلى الإسكندرية » .

قال ابن البطريق : « وأمر الملك أن لا يسكن يهودى ببيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر قتل ، فظهر دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق .

فقيل للملك : إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم على دينهم ، فقال : كيف لنا أن نعلم ذلك منهم ؟ فقال بولس البترك : إن الخنزير فى التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير ، فأمر أن تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم على دين اليهودية ، فقال الملك : إذا كان الخنزير فى التوراة حراماً فكيف يحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس ؟

فقال له بولس : إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما فى التوراة ، وجاء بنواميس أخر وبتوراة جديدة وهو الإنجيل ، وفى إنجيله « **أن كل ما يدخل البطن فليس بحرام ولا نجس ، وإنما ينجس الإنسان ما يخرج من فيه** »[1] .

وقال بولس : « إن بطرس رئيس الحواريين بينما هو يصلى فى ست ساعات من النهار وقع عليه سبات فنظر إلى السماء قد تفتحت . وإذا زاد قد نزل من السماء حتى بلغ الأرض . وفيه كل ذى أربع قوائم على الأرض من السباع والدواب وغير ذلك من طير السماء ، وسمع صوتاً يقول له : يابطرس قم فاذبح وكل ، فقال بطرس : يارب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا دنساً قط ، فجاء صوت ثان : كل ما طهره الله فليس بنجس ، وفى نسخة أخرى : ما طهره الله فلا تنجسه أنت ، ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات ، ثم إن الزاد ارتفع إلى السماء . فتعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه »[2] .

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً وتصير على أبواب الكنائس فى كل مملكته يوم أحد الفصح ، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنازير ، فمن لم يأكل منه يقتل ، فقتل لأجل ذلك خلق كثير .

ثم هلك قسطنطين وقام بعده أكبر أولاده واسمه « قسطنطين » وفى أيامه اجتمع أصحاب آريوس ومن قال بمقالته إليه فحسنوا لهم دينهم ومقالتهم ، وقالوا : إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق فى قولهم إن الابن متفق مع

---

(١) متى [١٥ : ١٦ — ٢٠] ، مرقس [٧ : ١٥] .

(٢) أعمال الرسل [١١ : ٤ — ٩] .

الآب فى الجوهر ، فأُمِرَ أن لا يقال هذا فإنه خطأ ، فعزم الملك على فعله ، فكتب إليه أسقف بيت المقدس أن لا يقبل قول أصحاب آريوس فإنهم حائدون عن الحق وكفار ، وقد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقالتهم فقبل قوله .

قال ابن البطريق : «وفى ذلك الوقت أعلنت مقالة آريوس على قسطنطينية وإنطاكية والإسكندرية ، وفى ثانى سنة من ملك قسطنطين هذا صار على أنطاكية بترك آريوس ثم بعده آخر مثله» .

قال : «وأما أهل مصر والإسكندرية وكان أكثرهم آريوسين ومانيين فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها ، ووثبوا على بترك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفى» .

ثم ذكر جماعة من البتاركة والأساقفة من طوائف النصارى وما جرى لهم مع بعضهم بعضاً ، وما تعصبت به كل طائفة لبتركها حتى قتل بعضهم بعضاً واختلف النصارى أشد الاختلاف وكثرت مقالاتهم واجتمعوا عدة مجامع كل مجمع يلعن فيه بعضهم بعضاً .

ونحن نذكر بعض مجامعهم بعد هذين المجمعين .

فكان لهم مجمع ثالث[1] بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول بنيقية فاجتمع الوزراء والقواد إلى الملك ، وقالوا إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة آريوس ومكدونيس[2] ، فاكتب إلى جميع الأساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الملك إلى سائر بلاده ، فاجتمع فى قسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً ، فنظروا وبحثوا فى مقالة آريوس فوجدوها : أن روح القدس مخلوق ، ومصنوع وليس بإله ، فقال بترك الإسكندرية : «ليس روح القدس عندنا غير روح الله ، وليس روح الله غير حياته ، فإذا قلنا : إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا : إن حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حى ، وذلك كفر به» .

فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفتهم وبتاركهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها ، وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق ، إله حق من إله حق من طبيعة الآب والابن ، جوهر واحد وطبيعة واحدة ، وزادوا فى الأمانة التى وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر «ونؤمن بروح القدس الرب المحيى الذى من الآب منبثق . الذى مع الآب والابن وهو مسجود وممجد» .

---

(١) ابن البطريق يؤكد على أن هذا المجمع هو الثانى بعد المجمع الأول فيقول : «فمن المجمع الأول إلى هذا المجمع الثانى ، ثمان وخمسون سنة» [الجواب الصحيح ٣/٣٣] ويبدو أن ابن القيم قد عَدَّ الاجتماع الذى عقدوه فى بيت المقدس مجمعاً ثانياً ، لكن المشهور والمعروف عنهم أن المجمع الأول كان فى نيقية والثانى كان فى القسطنطينية .

(٢) فى سنة ٣٧٠ م ابتدأ مكدونيس وهو من الآريوسيين ينشر تعاليم كفرية عن الروح القدس ، فقال إن الروح القدس مخلوق وإنه ليس إلها ، مما أدى إلى انعقاد المجمع وإنتهائه إلى تقرير ألوهية روح القدس وأنه الرب المحى . [الحريدة النفيسة (١/٣٧٢ — ٤٠٠) ومحمد نبى الإسلام صـ ٧٧ ، ٧٨] .

وكان فى تلك الأمانة «وبروح القدس»[1] فقط : وبينوا أن الابن والآب وروح القدس ثلاثة أقانيم[2] **وثلاثة** وجوه وثلاث **خواص** ، وأنها وحدة فى تثليث وتثليث فى وحدة ، وبينوا : أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية وانفض هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفهم وأشياعهم .

ثم بعد إحدى وخمسين سنة من هذا المجمع كان لهم مجمع رابع على نسطورس[3] وكان رأيه : أن مريم ليست بوالدة الإله على الحقيقة ، ولذلك كان اثنان :

أحدهما : الإله هو موجود من الآب

والآخر : إنسان وهو الموجود من مريم ، وأن هذا الإنسان الذى نقول إنه المسيح متوحد مع ابن الإله ، ويقال له : إله ، وابن الإله ليس على الحقيقة ولكن موهبة ، واتفاق الاسمين على طريق الكرامة .

فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطئته واجتمع منهم مائتا أسقف فى مدينة أفسس وأرسلوا إليه للمناظرة فامتنع ثلاث مرات فأجمعوا على لعنه فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم **ولدت** إلهاً وأن المسيح إله حق من إله حق وهو إنسان وله طبيعتان فلما لعنوا نسطورس تعصب له بترك أنطاكية فجمع الأساقفة فلم يزل الملك حتى الذين قدموا معه وناظرهم وقطعهم فتقاتلوا وتلاعنوا وجرى بينهم شر فتفاقم أمرهم ثم أصلح بينهم فكتب أولئك صحيفة : «أن مريم القديسة ولدت إلها وهو ربنا يسوع المسيح الذى هو مع الله فى الطبيعة ومع الناس فى **الناسوت** » .

وأقروا بطبيعتين وبوجه واحد وأقنوم واحد وأنفذوا لعن نسطورس فلما لعنوه ونفى سار إلى مصر وأقام فى أخميم سبع سنين ومات ودفن بها ، وماتت مقالته إلى أن أحياها «ابن صرما» مطران «نصيبين» وبثها فى بلاد المشرق فأكثر نصارى المشرق والعراق نسطورية وانفض ذلك المجمع الرابع أيضاً وقد أطبقوا على لعن نسطورس وأشياعه ومن قال بمقالته[4] .

ثم كان لهم بعد هذا المجمع «مجمع خامس»[5] وذلك أنه كان بالقسطنطينية طبيب راهب

---

(١) يشير إلى قانون الأمانة .. الذى وضع فى مجمع نيقية الأول . وأنهم فى المجمع الثانى أضافوا إليه بما يوضح **طبيعة الروح القدس** .

(٢) الأقنُوم : الأصل ، وهو من الألفاظ الدخيلة على العربية . وفى موضوع أقانيم النصارى انظر : «الله واحد أم ثالوث» للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٣) يسمى «مجمع أفسس الأول» فى سنة ٤٣١ م ، وبالترتيب الذى سرنا عليه يكون المجمع الثالث لا الرابع من مجامعهم المعروفة .

(٤) إلى هنا ينتهى ما نقله ابن القيم عن تاريخ ابن البطريق المسمى «نظم الجوهر» والذى اعتمد على الجواب الصحيح لابن تيمية فى نقله [٣/٥ ــ ٣٨] . وفيما يختص بمجمع أفسس الأول انظر **الخريدة النفيسة** [١/٤٨٧ ــ ٤٩٥] .

(٥) المجمع الرابع بترتيبنا ، وكان سنة ٤٤٩ م ويسمى «مجمع أفسس الثانى» .

يقال له «أوطيسوس»[1] يقول : «إن جسد المسيح ليس هو مع أجسادنا بالطبيعة ، وإن المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة» .

وهو أول من أحدث هذه المقالة وهى «مقالة اليعقوبية» ، فرحل إليه بعض الأساقفة فناظره وقطعه ودحض حجته ، ثم صار إلى قسطنطينية فأخبر بتركها بالمناظرة وبانقطاعه فأرسل بترك القسطنطينية إليه فاستحضره وجمع جمعاً عظيما وناظره .

فقال أوطيسوس : «إن قلنا : إن المسيح طبيعتين فقد قلنا بقول «نسطورس» ولكنا نقول : إن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد ؛ لأنه من طبيعتين كانتا قبل التجسد ، فلما قبل التجسد زالت عنه وصار طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً» .

فقال له بترك القسطنطينية : «إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هى المحدثة ، وإن كان القديم هو المحدث فالذى لم يزل هو الذى لم يكن ، ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد» .

فأبى أن يرجع عن مقالته فلعنوه .

فاستعدى إلى الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب إلى جميع البتاركة للمناظرة ، فاستحضر الملك البتاركة والأساقفة من سائر البلاد إلى مدينة أفسس ، فثبت بترك الإسكندرية مقالة أوطيسوس وقطع بتارك القسطنطينية وأنطاكية وبيت المقدس وسائر البتاركة والأساقفة ، وكتب إلى بترك رومية وإلى جماعة الكهنة فحرمهم ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس .

ففسدت الأمانة وصارت مقالة أوطيسوس خاصة بمصر والإسكندرية وهو مذهب اليعقوبية ، فافترق هذا المجمع الخامس وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويبرأ من مقالته[2] .

فصل : ثم كان لهم بعد هذا «مجمع سادس» فى مدينة «خليقدونية»[3] فإنه لما مات الملك ولى بعده مركيان فاجتمع إليه الأساقفة من سائر البلاد فأعلموه ما كان من خذلان ذلك المجمع وقلة الإنصاف ، وأن مقالة أوطيسوس قد غلبت على الناس وأفسدت دين النصرانية ، فأمر الملك باستحضار سائر البتاركة والمطارنة والأساقفة إلى مدينة خليقدونية فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفاً فنظروا فى مقالة «أوطيسوس» وبترك الإسكندرية الذى قطع جميع البتاركة فأفسد الجميع مقالتهما ولعنوهما .

وأثبتوا : «أن المسيح إله وإنسان . فى المكان مع الله باللاهوت . وفى المكان معنا بالناسوت ، يعرف بطبيعتين ؛ تام باللاهوت .. وتام بالناسوت . ومسيح واحد» .

---

(١) الذى انعقد «مجمع أفسس الثانى» من أجله هو أوطاخى لا «أوطيسوس» كما ذكر ابن القيم . انظر الخريدة النفيسة [٤٩٦/١ ــ ٥١٠] .

(٢) انظر تفاصيل ما حدث فى هذا المجمع فى الخريدة النفيسة [٤٩٧/١ ـ ٥١٠] .

(٣) المجمع الخامس بترتيبنا وهو مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ م وقد كان هذا المجمع سبب خراب ورماد وانقسام مخجل ومعيب للنصرانية كما يقول صاحب الخريدة النفيسة .

وثبتوا أقوال الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا ، وقبلوا قولهم : «بأن الابن مع الله فى المكان . نور من نور . إله حق من إله حق» .

ولعنوا آريوس ، وقالوا : «إن روح القدس إله ، وأن الآب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة» .

وثبتوا قول المجمع الثالث فى مدينة أفسس أعنى المائتى أسقف على «نسطورس» وقالوا : «إن مريم العذراء ولدت إلها ربنا يسوع المسيح الذى هو مع الله بطبيعة ومع الناسوت بطبيعة» ، وشهدوا : «أن للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً» .

ولعنوا نسطورس وبترك الإسكندرية ، ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأفسس ، ثم المجمع الثالث المائتى أسقف بمدينة أفسس أول مرة ، ولعنوا نسطورس ، وبين نسطورس إلى مجمع خليقدونية إحدى وعشرون سنة ، فانفض هذا المجمع وقد لعنوا من مقدميهم وأساقفتهم من ذكرنا وكفروهم وتبرءوا منهم ومن مقالاتهم[1] .

ثم كان لهم بعد هذا المجمع «مجمع سابع»[2] فى أيام «أنسطاس» الملك ، وذلك أن «سورس» القسطنطينى كان على رأى «أوطيسوس» فجاء إلى الملك فقال : «إن المجمع الخليقدونى فى الستمائة وثلاثين قد أخطأوا فى لعن أوطيسوس وبترك الإسكندرية ، والدين الصحيح ما قالاه فلا يقبل دين من سواهما ؛ ولكن اكتب إلى جميع عمالك أن يلعنوا الستمائة وثلاثين ويأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد ، فأجابه الملك إلى ذلك ، فلما بلغ ذلك «إيليا» بترك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا «أنسطاس» الملك و«سورس» ومن يقول بمقالتهما ، فبلغ ذلك «أنسطاس» ونفاه إلى أيلة ، وبعث «يوحنا» بتركا على بيت المقدس لأن يوحنا كان قد ضمن له أن يلعن المجمع الخيلقدونى الستمائة وثلاثين ، فلما قدم إلى بيت المقدس اجتمع الرهبان وقالوا : «إياك أن تقبل من سورس ولكن قاتل عن المجمع الخليقدونى ونحن معك» .

فضمن لهم ذلك وخالف أمر الملك ، فبلغ ذلك الملك فأرسل قائداً وأمره أن يأخذ يوحنا بطرح المجمع الخيلقدونى ، فإن لم يفعل ينفيه عن الكرسى ، فقدم القائد وطرح يوحنا فى الحبس فصار إليه الرهبان فى الحبس وأشاروا عليه بأن يضمن للقائد أن يفعل ذلك ، فإذا حضر فليقر بلعنة من لعنة الرهبان ففعل ذلك واجتمع الرهبان وكانوا عشرة آلاف راهب ومعهم مدرس وسابا ورؤساء الديورات ، فلعنوا أوطيسوس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع

(١) انظر تفاصيل ما حدث فى هذا المجمع فى الخريدة النفيسة [١/٥١٠ ــ ٥٣٤] .

(٢) يقول صاحب تاريخ الأقباط : «ولا تعترف الكنيسة القبطية . بمجمع خلقيدونية ، ولا بقراراته ، كما لا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٥٥٣ م . سنة ٦١٠ م وسنة ٧٨٦ م لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية فى الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة» [١/١٧٩] .

الخليقدونى ، وفزع رسول الملك من الرهبان ، وبلغ ذلك الملك فهم بنفى يوحنا ، فاجتمع الرهبان والأساقفة فكتبوا إلى أنسطاس الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولا أحدا من المخالفين ولو أهريقت دماؤهم وسألوه أن يكف أذاه عنهم ، وكتب بترك رومية إلى الملك يقبح فعله ويلعنه .

فانفض هذا المجمع أيضاً وقد تلاعنت فيه هذه الجموع على ما وصفنا !

وكان لسورس تلميذ يقال له : يعقوب يقول بمقالة سورس ، وكان يسمى يعقوب البرادعى وإليه تنسب « اليعاقبة » فأفسد أمانة النصارى ، ثم مات أنسطاس وولى قسطنطين فرد كل من نفاه أنسطاس الملك إلى موضعه ، واجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيدوا عيداً حسناً بزعمهم ، وأثبتوا المجمع الخليقدونى بالستمائة وثلاثين أسقفاً ، ثم ولى ملك آخر وكانت اليعقوبية قد غلبوا على الإسكندر وقتلوا بتركا لهم يقال له : « بولس » كان ملكها ، فأرسل قائداً ومعه عسكر عظيم إلى الإسكندرية ، فدخل الكنيسة فى ثياب البترك ، وتقدم وقدس فرموه بالحجارة حتى كادوا يقتلونه فانصرف .

ثم أظهر لهم من بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب الملك ، وضرب الجرس ليجتمع الناس يوم الأحد فى الكنيسة فلم يبق أحد بالإسكندرية حتى حضر لسماع كتاب الملك ، وقد جعل بينه وبين جنده علامة إذا هو فعلها وضعوا السيف فى الناس ، فصعد المنبر وقال : « يا معشر أهل إسكندرية ! إن رجعتم إلى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة وإلا لن تأمنوا أن يرسل إليكم الملك من يسفك دماءكم » .

فرموه بالحجارة حتى خاف على نفسه أن يقتل ، فأظهر العلامة فوضعوا السيف على كل من فى الكنيسة فقتل داخلها وخارجها أمم لا تحصى كثرة حتى خاض الجند فى الدماء ، وهرب منهم خلق كثير ، وظهرت « مقالة الملكية » .

ثم كان لهم بعد ذلك « مجمع ثامن » بعد المجمع الخليقدونى الذى لعن فيه اليعقوبية بمائة سنة وثلاث سنين ، وذلك أن أسقف منبج — وهى بلدة شرق حلب بالقرب منها وهى مخسوفة الآن — كان يقول بالتناسخ وأن ليس قيامة ، وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون : « إن جسد المسيح خيال غير حقيقة » فحشرهم الملك إلى قسطنطينية .

فقال لهم بتركها : « إن كان جسده خيالا فيجب أن يكون فعله خيالا وقوله خيالا وكل جسد يعاين لأحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك » .

وقال لأسقف منبج : « إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة ، وقال فى « إنجيله » « إنه تأتى ساعة حتى إن كل من فى القبور إذا سمعوا

قول ابن الله يحيون »[1] فكيف تقولون ليس قيامة ؟ فأوجب عليهم الخزى واللعن ، وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه ، واستحضر بتاركة البلاد ، فاجتمع فى هذا المجمع مائة وأربعون وستون أسقفاً ، فلعنوا أسقف « منبج » وأسقف « المصيصة » وثبتوا على قول أسقف الرها « إن جسد المسيح حقيقة لا خيال ، وأنه له تام وإنسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد » .

وثبتوا المجامع الأربعة التى قبلهم بعد المجمع الخليقدونى ، وأن الدنيا زائلة ، وأن القيامة كائنة[2] ، وأن المسيح يأتى بمجد عظيم فيدين الأحياء والأموات كما قال الثلاثمائة والثمانية عشر .

ثم كان لهم « مجمع تاسع » فى أيام معاوية بن أبى سفيان تلاعنوا فيه ، وذلك أنه كان برومية راهب قديس يقال له « مقسلمس » وله تلميذان ، فجاء إلى « قسطا » الوالى فوبخه على قبح مذهبه وشناعة كفره ، فأمر به « قسطا » فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه ، وفعل بأحد التلميذين مثله ، وضرب الآخر بالسياط ونفاه ، فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فأرسل إليه أن يوجه إليه من أفاضل الأساقفة ليعلم وجه هذه الحجة ومن الذى كان ابتدأها لكيما يطرح جميع الآباء القديسيين كل من استحق اللعنة . فبعث إليه مائة وأربعين أسقفاً وثلاثة شمامسة فلما وصلوا إلى « قسطنطينية » جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفاً فساروا ثلاثمائة وثمانية ، وأسقطوا الشمامسة فى « البرطحة » .

وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية . ولم يكن لبيت المقدس وإسكندرية بترك ، فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم ، وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة . ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة ، ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فلخصوا الأمانة المستقيمة بزعمهم ، فقالوا : « **نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الابن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم** ، المستوى مع الآب الإله فى الجوهر ، الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين ، وفعلين ، ومشيئتين ، فى أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تاما بلاهوته ، تاما بناسوته ، وشهدت كما شهد مجمع الخليقدونية على ما سبق أن الإله الابن فى آخر الأيام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً إنسانا بنفسين ، وذلك برحمة الله تعالى محب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ، ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان أن يعمله فى طبيعته وما يشبه الإله أن يعمل فى طبيعته الذى هو الابن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة إلى أن صارت فى الحقيقة لحماً كما يقول الإنجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الأزلى ، وليست بمتغيرة ولكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين إلهى ، وإنسى ، الذى بهما يكون القول

---

(١) يوحنا [٥ : ٢٥] ونصه : « الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » . وهو يشير بذلك إلى النبى محمد ﷺ لا على القيامة كما فهم المؤلف .

(٢) فيما يختص بعقيدة النصارى فى القيامة ، والعذاب والنعيم الأخرويين ، انظر : [الإعلام بما فى دين النصارى من الأوهام .. للقرطبى ٤/٤٣٢ — ٤٣٧] .

الحق ، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها ، مشيئتين غير متضادتين ولا متضارعتين ، ولكن مع المشيئة الإنسية فى المشيئة الإلهية القادرة على كل شىء .

هذه شهادتهم وأمانة المجمع السادس من المجتمع الخليقدونى ، وثبتوا ما ثبته الخمس مجامع التى كانت قبلهم ولعنوا من لعنوه . وبين المجمع الخامس إلى هذا المجمع مائة سنة .

فصل : ثم كان لهم « مجمع عاشر » لمامات الملك وولى بعده ابنه ، واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل ، فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم ، وثبتوا قول المجامع الخمسة ، ولعنوا من لعنوا وانصرفوا .

فانقرضت هذه المجامع والحشود وهم علماء النصارى وقدماؤهم وناقلوا الدين إلى المتأخرين وإليهم يستند من بعدهم .

وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضا ، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون .

فإذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخبارهم فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى . ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لا يثبت لهم قدم ، ولا يتحصل لهم قول فى معرفة معبودهم ؛ بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه ، وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه، فما الظن بحثالة الماضين ، ونفاية الغابرين ، وزبالة الحائرين ، وذرية الضالين ، وقد طال عليهم الأمد ، وبَعُد العهد ، وصار دينهم ما يتلقونه عن الرهبان .

وقوم إذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شىء بالأنعام ، وإن كانوا فى صور الأنام ، بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلا ؟ ﴿ **إنْ هُمْ إلاَّ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان : ٤٤] وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله : ﴿ **يَاأهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فى دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ ولا تَتَّبِعُوا أهْوَاءَ قَوْمٍ قد ضَلُّوا من قَبْلُ وأضَلُّوا كَثِيراً وضَلُّوا عنْ سواءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة : ٧٧] ، ومن أضل من أمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم ؟ وأمة اللعن بشهادتهم على نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً ؟

وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله فى قوله ﷺ : « **لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »(١) يحذر ما فعلوه . هذا والكتاب واحد ، والرب واحد ، والنبى واحد ، والدعوى واحدة ، وكلهم يتمسك بالمسيح وإنجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا

---

(١) صحيح . البخارى فى الصلاة . باب هل تُنبش قبور مشركى الجاهلية ، ويتخذ مكانها مساجد ؟ [١/٦٢٤] وفى مواضع أخرى متعددة . ومسلم فى المساجد . باب النهى عن بناء المساجد فى القبور .. [١٩ — ٢٢] .

الاختلاف المتباين فمنهم من يقول : «إنه الإله» . ومنهم من يقول : «ابن الإله» . ومنهم من يقول : «ثالث ثلاثة» . ومنهم من يقول : «إنه عبد» . ومنهم من يقول : «إنه أقنوم وطبيعة» . ومنهم من يقول : «طبيعتان»(١) .

إلى غير ذلك من المقالات التى حكوها عن أسلافهم ، وكل منهم يكفر صاحبه .

فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله . فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران : ١٩] .

نور النبوة

فصل فى أنه لا يمكن الإيمان بنبى من الأنبياء أصلا مع جحود نبوة محمد رسول الله ﷺ ، وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً .. وهذا يتبين بوجوه :

الوجه الأول : أن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوته وأمروا أممهم بالإيمان به ، فمن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان به ، والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم ، وإذا انتفى اللازم انتفى ملزومه قطعاً وبيان الملازمة ما تقدم من الوجوه الكثيرة التى تفيد بمجموعها القطع .. على أنه ﷺ قد ذكر فى الكتب الإلهية على ألسن الأنبياء ، وإذا ثبتت الملازمة فانتفاء اللازم موجب لانتفاء ملزومه .

الوجه الثانى : أن دعوة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هى دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم ، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم ، فإن جميع الرسل جاؤوا بما جاء به ، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل ، وفى ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله وكل كتاب أنزله الله ، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق وأنه كاذب مفتر على الله .

وهذا فى غاية الوضوح . وهذا بمنزلة شهود شهدوا بحق فصدقهم الخصم ، وقال : هؤلاء كلهم شهود عدول صادقون ، ثم شهد آخر على شهادتهم سواء . فقال الخصم : هذه الشهادة باطلة وكذب لا أصل لها ، إن ذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعاً ، ولا ينجيه من تكذيبهم اعترافه بصحة شهادتهم وإنها شهادة حق مع قوله : إن الشاهد بها كاذب فيما شهد به .

فكما أنه لو لم يظهر محمد ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء قبله فكذلك إن لم يصدق لم يمكن

---

(١) لمزيد من التعريف على مذاهب النصارى انظر : «التاريخ المجموع» لابن البطريق صـ ١٥٨ وما بعدها .

تصديق نبي من الأنبياء قبله.

الوجه الثالث : إن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل ، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمد رسول الله ﷺ مثلها أو ما هو في الدلالة مثلها وإن لم يكن من جنسها ، فآيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل ، والعلم بنقلها قطعي ، لقرب العهد ، وكثرة النقلة ، واختلاف أمصارهم وأعصارهم ، واستحالة تواطئهم على الكذب .

فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده ، بحيث لا تمكن المكابرة في ذلك ، والمكابر فيه في غاية الوقاحة والبهت ، كالمكابرة في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والأقاليم والجبال والأنهار .

فإن جاز القدح في ذلك كله ، فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتهما أجوز وأجوز ، وإن امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد ﷺ وآيات نبوته أشد .

ولذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الإيمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد أبداً . كفر بالجميع ، وقال . **﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾** ، كما قال تعالى : **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً . وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ . ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾** [الأنعام : ٩١] ، قال سعيد بن جبير : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : **«أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ؟»** وكان حبراً سميناً ، فغضب عدو الله وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فأنزل الله عز وجل : **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾**[1] الآية ؛ وهذا قول عكرمة .

وقال محمد بن كعب : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ وهو محتب ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله عز وجل ؟ فأنزل الله عز وجل : **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾** الآية [النساء : ١٥٣] . وجاء رجل من اليهود فقال : ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً ، ما أنزل الله على بشر من شيء ، فحل رسول الله ﷺ حبوته[2] ، وجعل يقول : «ولا على أحد»[3] .

---

(١) أسباب النزول للواحدي [صـ ١٦٤] ولباب المنقول للسيوطي [صـ ٨١] .

(٢) احتبى الثوب : أداره على ساقيه وظهره وهو جالس ليستند والحِبْوة : الاحتباء . وما يحتبى به من ثوب وغيره .

(٣) أسباب النزول [صـ ١٣٨] ولباب المنقول [صـ ٦٦] وابن كثير في تفسيره [٥٧٢/١] .

وذهب جماعة منهم مجاهد ، إلى أن الآية نزلت فى مشركى قريش ، فهم الذين جحدوا أصل الرسالة ، وكذبوا بالرسل ، وأما أهل الكتاب فلم يجحدوا نبوة موسى وعيسى .

وهذا اختيار ابن جرير ، قال : وهو أولى الأقاويل بالصواب ، لأن ذلك فى سياق الخبر عنهم ، فهو أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ، لم يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا ، مع ما فى الخبر عمن أخبر الله عنه من هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم ، وموسى ، وزبور داود ، والخبر من أول السورة إلى هذا الموضع خبر عن المشركين من عبدة الأوثان ، وقوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ موصول به غير مفصول عنه ، قلت : ويقوى قوله ؛ أن السورة مكية ، فهى خبر عن زنادقة العرب ، المنكرين لأصل النبوة[1] .

ولكن بقى أن يقال : فكيف يحسن الرد عليهم بما لا يقرون به من أنزال الكتاب الذى جاء به موسى ؟ وكيف يقال لهم : ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ ؟ ولا سيما على قراءة من قرأ بتاء الخطاب[2] . وهل ذلك صالح لغير اليهود ؟ فإنهم كانوا يخفون من الكتاب ما لا يوافق أهواءهم وأغراضهم ، ويبدون منه ما سواه ، فاحتج عليهم بما يقرون به من كتاب موسى ، ثم وبخهم بأنهم خانوا الله ورسوله فيه ، فأخفوا بعضه وأظهروا بعضه ، وهذا استطراد من ذكر جحدهم النبوة بالكلية ، وذلك إخفاء لها وكتمان إلى جحد ما أقروا به كتابهم بإخفائه وكتمانه ، فتلك تحية لهم معروفة لا تنكر ، إذ من أخفى بعض كتابه الذى يقر بأنه من عند الله ، كيف لا يجحد أصل النبوة ؟ .

ثم احتج عليهم ، بأنهم قد علموا بالوحى ما لم يكونوا يعلمونه هم ولا آباؤهم ، ولولا الوحى الذى أنزله على أنبيائه ورسله لم يصلوا إليه ، ثم أمر رسوله أن يجيب عن هذا السؤال ، وهو قوله : ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ فقال : ﴿قُلِ اللهُ﴾ أى الله الذى أنزله ، أى إن كفروا به وجحدوه فصدق به أنت وأقر به ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ .

وجواب هذا السؤال أن يقال : إن الله سبحانه احتج عليهم بما يقر به أهل الكتابين وهم أولو العلم دون الأمم التى لا كتاب لها ، أى إن جحدتم أصل النبوة وأن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فهذا كتاب موسى يقر به أهل الكتاب وهم أعلم منكم فاسألوهم عنه ، ونظائر هذا

---

(١) يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : «قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير نزلت فى قريش واختاره ابن جرير ، وقيل : نزلت فى طائفة من اليهود وقيل : فى فنحاص رجل منهم ، وقيل : فى مالك بن الصيف والأول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرن إرسال محمد لأنه من البشر» ٢/١٥٦ .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء جميعا ، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء جميعا . [السبعة فى القراءات لابن مجاهد . صـ ٢٦٢ ، ٢٦٣] تحقيق د . شوقى ضيف

فى القرآن كثيرة يستشهد سبحانه بأهل الكتاب على منكرى النبوات والتوحيد ، والمعنى إنكم إن أنكرتم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فمن أنزل كتاب موسى ؟ فإن لم تعلموا ذلك فاسألوا أهل الكتاب ، وأما قوله تعالى : ﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيراً﴾ فمن قرأها بالياء فهو إخبار عن اليهود بلفظ الغيبة ، ومن قرأها بلفظ التاء للخطاب فهو خطاب لهذا الجنس الذى فعلوا ذلك أى تجعلونه يا من أنزل عليه كذلك ، وهذا من أعلام نبوته أن يخبر أهل الكتاب بما اعتمدوه فى كتابهم ، وأنهم جعلوه قراطيس وأبدوا بعضه وأخفوا كثيراً منه ، وهذا لا يعلم من غير جهتهم إلا بوحى من الله ، ولا يلزم أن يكون قوله : ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ خطاباً لمن حكى عنهم أنهم قالوا : ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ بل هذا استطراد من الشىء إلى نظيره وشبهه ولازمه ، وله نظائر فى القرآن كثيرة كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ إلى آخر الآية [المؤمنون : ١٢ ــ ١٤]

فاستطرد من الشخص المخلوق من الطين وهو آدم إلى النوع المخلوق من النطفة وهم أولاده ، وأوقع الضمير على الجميع بلفظ واحد ، ومثله قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ، فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلى آخر الآيات [الأعراف : ١٨٩ ــ ١٩٥] .

ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ إلى آخر الآيات [الزخرف : ٩ ــ ١١] .

وعلى التقديرين فهؤلاء لم يتم لهم إنكار نبوة النبى ﷺ ومكابرتهم إلا بهذا الجحد والتكذيب العام ، ورأوا أنهم إن أقروا ببعض النبوات وجحدوا نبوته ظهر تناقضهم وتفريقهم بين المتماثلين ، وأنهم لا يمكنهم الإيمان بنبى وجحد نبوة من نبوته أظهروا آياتها أكثر وأعظم ممن أقروا به .

وأخبر سبحانه أنه من جحد أن يكون قد أرسل رسله وأنزل كتبه لم يقدره حق قدره ، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به بل يتعالى ويتنزه عنه ، فإن فى ذلك إنكار دينه وإلهيته وملكه وحكمته ورحمته ، والظن السىء به أنه خلق خلقه عبثا باطلا ، وأنه خلاهم سدى مهملا وهذا ينافى كماله المقدس وهو متعال عن كل ما ينافى كماله .

فمن أنكر كلامه وتكليمه وإرساله الرسل إلى خلقه فما قدره حق قدره ، ولا عرفه حق معرفته ، ولا عظمه حق عظمته ، كما أن من عبد معه إلها غيره لم يقدره حق قدره معطل جاحد لصفات كماله ونعوت جلاله وإرسال رسله وإنزال كتبه ، ولا عظمه حق عظمته .

ولذلك كان جحد نبوة خاتم أنبيائه ورسله وإنزال كتبه وتكذيبه إنكارا للرب تعالى فى الحقيقة وجحوداً له ، فلا يمكن الإقرار بربوبيته وإلهيته وملكه بل ولا بوجوده مع تكذيب محمد ابن عبد الله ﷺ .

وقد أشرنا إلى ذلك فى المناظرة التى تقدمت[1] ، فلا يجامع الكفر برسول الله ﷺ الإقرار بالرب تعالى وصفاته أصلا ، كما لا يجامع الكفر بالمعاد واليوم الآخر الإقرار بوجود الصانع أصلا .

وقد ذكر سبحانه ذلك فى موضعين من كتابه فى سورة الرعد فى قوله : ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُم أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ والثانى فى سورة الكهف فى قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَبًا ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا﴾ [الكهف : ٣٥ ــ ٣٨] ، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعريف بحقوقه على عباده ، فمن أنكر رسالاته فقد أنكر الرب الذى دعا إليه وحقوقه التى أمر بها ؛ بل نقول : لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هى عليه مع تكذيب رسوله ، وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض وأديانهم .

فإن الفلاسفة لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة والجن والمبدأ والمعاد وتفاصيل صفات الرب تعالى وأفعاله مع إنكار النبوات ؛ بل والحقائق المشاهدة التى لا يمكن إنكارها لم يثبتوها على ما هى عليه ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ما هى عليه البتة ، وهذا ثمرة إنكارهم النبوات فسلبهم الله إدراك الحقائق التى زعموا أن عقولهم كافية فى إدراكها ، فلم يدركوا منها شيئاً على ما هو عليه ، حتى ولا الماء ولا الهواء ولا الشمس ولا غيرها . فمن تأمل مذاهبهم فيها علم أنهم لم يدركوها وإن عرفوا من ذلك بعض ما خفى على غيرهم . وأما « المجوس » فأضل وأضل . وأما « عباد الأصنام » فلا عرفوا الخالق ولا عرفوا حقيقة المخلوقات ، ولا ميزوا بين الشياطين والملائكة وبين الأرواح الطيبة والخبيثة ، وبين أحسن الحسن وأقبح القبيح ، ولا عرفوا كمال النفس وما تسعد به ونقصها وما تشقى به .

وأما « النصارى » فقد عرفت ما الذى أدركوه من معبودهم وما وصفوه به وما الذى قالوه

(١) ذكر المؤلف هذه المناظرة عقب حديثه عن البشارات عن محمد ﷺ فى السؤال الثالث .

فى نبيهم ، وكيف لم يدركوا حقيقته البتة ، ووصفوا الله بما هو من أعظم العيوب والنقائص ، ووصفوا عبده ورسوله بما ليس له بوجه من الوجوه ، وما عرفوا الله ولا رسوله[1] ، والمعاد الذى أقروا به لم يدركوا حقيقته ولم يؤمنوا بما جاءت به الرسل من حقيقته ، إذ لا أكل عندهم فى الجنة ولا شرب ولا زوجة هناك ولا حور عين يلذ بهن الرجال كلذاتهم فى الدنيا ، ولا عرفوا حقيقة أنفسهم وما تسعد به وتشقى ، ومن لم يعرف ذلك فهو أجدر أن لا يعرف حقيقة شىء كما ينبغى البتة ، فلا لأنفسهم عرفوا ولا لفاطرها وبارئها ، ولا لمن جعله الله سبباً فى فلاحها وسعادتها ، ولا للموجودات وأنها جميعها فقيرة مربوبة مصنوعة ناطقها وصامتها آدميها وجنيها وملكها ، فكل من فى السموات عبده وملكه ، وهو مخلوق مصنوع مربوب فقير من كل وجه ، ومن لم يعرف هذا لم يعرف شيئاً .

اليهود أغبياء قتلة الأنبياء

وأما «**اليهود**» فقد حكى الله لك عن جهل أسلافهم وغباوتهم وضلالهم ما يدل على ما وراءه من ظلمات الجهل التى بعضها فوق بعض ، ويكفى فى ذلك عبادتهم العجل الذى صنعته أيديهم من ذهب[2] ، ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة أبلد الحيوان وأقله فطانة الذى يضرب المثل به فى قلة الفهم ، فانظر إلى هذه الجهالة والغباوة المتجاوزة للحد كيف عبدوا مع الله إلهاً آخر وقد شاهدوا من أدلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله ما لم يشاهده سواهم ؟!

وإذ قد عزموا على اتخاذ إله دون الله اتخذوه ونبيهم حى بين أظهرهم لم ينتظروا موته ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الملائكة المقربين ولا من الأحياء الناطقين بل اتخذوه من الجمادات ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم بل من الجواهر الأرضية ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر التى خلقت فوق الأرض عالية عليها كالجبال ونحوها بل من جواهر لا تكون إلا تحت الأرض والصخور والأحجار عالية عليها ! وإذ قد فعلوا لم يتخذوه من جوهر يستغنى عن الصنعة وإدخال النار وتقليبه وجوهاً مختلفة وضربه بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج إلى نيل الأيدى له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه ! وإذ قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبى مرسل ولا على تمثال جوهر علوى لا تناله الأيدى بل على تمثال حيوان أرضى ! وإذ قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال أشرف الحيوانات وأقواها وأشدها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوهما بل صاغوه على

(١) لمزيد من البيان والتفصيل عن عقيدة الألوهية عند النصارى انظر كتاب «الله واحد أم ثالوث» للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) تحدث القرآن عن عبادتهم للعجل فى أكثر من سورة من سوره ، كذلك تحدثت التوراة ، وإن كانت قد نسبت صناعة العجل لهارون عليه السلام ، وهذا من افتراءهم وخبثهم على أنبياء الله . [سفر الخروج ٣٢ : ١ — ٦] .

تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضيم والذل بحيث يحرث عليه الأرض ويسقى عليه بالسواق والدواليب[1] ولا له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغير .

فأى معرفة لهؤلاء بمعبودهم ونبيهم وحقائق الموجودات ؟

وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً فيعبد إلهاً مجعولا بعد ما شاهد تلك الآيات الباهرات أن لا يعرف حقيقة الإله ولا أسماءه وصفاته ونعوته ودينه ، ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره .

ولو عرف هؤلاء معبودهم ورسولهم لما قالوا لنبيهم : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة : ٥٥] ولا قالوا له : ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ﴾ [المائدة : ٢٤] ولا قتلوا نفساً وطرحوا المقتول على أبواب البراء من قتله ونبيهم حى بين أظهرهم وخبر السماء والوحى يأتيه صباحاً ومساء ، فكأنهم جوزوا أن يخفى هذا على الله كما يخفى على الناس[2] ؟! ولو عرفوا معبودهم لما قالوا فى بعض مخاطباتهم له : « يا أبانا انتبه من رقدتك ، كم تنام » .

ولو عرفوا لما سارعوا إلى محاربة أنبيائه وقتلهم وحبسهم ونفيهم ولما تحيلوا على تحليل محارمه وإسقاط فرائضه بأنواع الحيل .

ولقد شهدت التوراة بعدم فطانتهم وأنهم من الأغبياء[3] ، ولو عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة أن يأمر بالشئ فى وقت لمصلحة ثم يزيل الأمر به فى وقت آخر لحصول المصلحة وتبدله بما هو خير منه وينهى عنه ثم يبيحه فى وقت آخر لاختلاف الأوقات والأحوال فى المصالح والمفاسد ، كما هو مشاهد فى أحكامه القدرية الكونية التى لا يتم نظام العالم ولا مصلحته إلا بتبديلها واختلافها بحسب الأحوال والأوقات والأماكن ، فلو اعتمد طبيب أن لا يغير الأدوية والأغذية بحسب اختلاف الزمان والأماكن والأحوال لأهلك الحرث والنسل وعد من الجهال ، فكيف يحجر على طبيب القلوب والأديان أن تتبدل أحكامه بحسب اختلاف المصالح[4] ؟ وهل ذلك إلا قدح فى حكمته ورحمته وقدرته وملكه التام وتدبيره لخلقه ؟

ومن جهلهم بمعبودهم ورسوله وأمره أنهم أمروا أن يدخلوا باب المدينة التى فتحها الله عليهم سجداً ويقولوا : حطة ، فيدخلوا متواضعين لله سائلين منه أن يحط عنهم خطاياهم ،

---

(١) مفردها الدُّولاب : وهو الآلة التى تديرها الدابة ليستقى بها .

(٢) يقصد المؤلف بالمقتول الإشارة إلى قصة بقرة بنى إسرائيل التى تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة البقرة ، الآيات [من ٦٦ : ٧٢] .

(٣) سفر الخروج [٣٢ : ٢٧ ــ ٢٨] ، الملوك الثانى [١٧ : ٩ ــ ٢٣] سفراء إشعياء [١ : ٣] .

(٤) فيما يتعلق بقضية النسخ فى التوراة انظر إظهار الحق لرحمت الله فقد عقد باباً كاملاً بعنوان « فى إثبات النسخ » [١/٣٧٥ ــ ٣٩٨] .

فدخلوا يزحفون على أستاههم بدل السجود لله ، ويقولون : «هنطا سقمانا» أى حنطة سمراء ، فذلك سجودهم وخشوعهم ، وهذا استغفارهم واستقالتهم من ذنوبهم[1] .

ومن جهلهم وغباوتهم أن الله سبحانه أراهم من آيات قدرته وعظيم سلطانه وصدق رسوله ما لا مزيد عليه ، ثم أنزل عليهم بعد ذلك كتابه وعهد إليهم فيه عهده وأمرهم أن يأخذوه بقوة فيعبدوه بما فيه كما خلصهم من عبودية فرعون والقبط فأبوا أن يقبلوا ذلك وامتنعوا منه ، فنتق الجبل العظيم فوق رؤوسهم على قدرهم ، وقيل لهم : إن لم تقبلوا أطبقته عليكم فقبلوه من تحت الجبل[2] .

قال ابن عباس : رفع الله الجبل فوق رؤوسهم وبعث ناراً من قبل وجوههم ، وأتاهم البحر من تحتهم ، ونودوا إن لم تقبلوا أرضختكم بهذا ، وأحرقتكم بهذا ، وأغرقتكم بهذا ، فقبلوه ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك ولما أمنوا بعد ذلك قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة : ٩٣]

ومن جهلهم أنهم شاهدوا الآيات ورأوا العجائب التى يؤمن على بعضها البشر ثم قالوا بعد ذلك : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ وكان الله سبحانه قد أمر موسى أن يختار من خيارهم سبعين رجلا لميقاته ، فاختارهم موسى وذهب بهم إلى الجبل ، فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل ، وقال للقوم : ادنوا ودنى القوم حتى إذا دخلوا فى الحجاب وقعوا سجداً ، فسمعوا الرب تعالى وهو يكلم موسى ويأمره وينهاه ويعهد إليه ، فلما انكشف الغمام قالوا : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ .

ومن جهلهم أن هارون لما مات ودفنه موسى قالت بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلته حسدته على خلقه ولينه ومحبة بنى إسرائيل له ، قال : فاختاروا سبعين رجلا فوقفوا على قبر هارون ، فقال موسى : يا هارون أقتلت أم مت ؟ قال : بل مت وما قتلنى أحد[3] .

فحسبك من جهالة أمة وجفائهم أنهم اتهموا نبيهم ونسبوه إلى قتل أخيه فقال موسى : ما

---

(١) زحف بنى إسرائيل على أستاههم عند دخولهم الأرض المقدسة على الحقيقة لا المجاز لما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «قيل لبنى إسرائيل ﴿ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا ، وقالوا حطة حبة فى شعرة» البخارى فى الأنبياء [٦/٥٠٢] . وفى التفسير . سورتى البقرة والأعراف [٨/١٤ ، ١٥٤] . كذلك فإن ابن كثير بعد استعراضه لآراء المفسرين فى هذه الآية يقول : «وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على أستاههم من قِبَل أستاههم راغمى رءوسهم ، وأمروا أن يقولوا حطة أى احطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزءوا فقالوا : حطة فى شعرة ، وهذا فى غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته» [١/٩٨ ، ٩٩] .

(٢) نتق الجبل ورد ذكره فى القرآن فى سورة الأعراف الآية ١٧١ ، وانظر تفسير ابن كثير [٢/١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١] وسفر الخروج [٢٤ : ١ —] [٣٣ : ٧ —] .

(٣) لم يرد ذكر لذلك فى التوراة . وانظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار [ص ٢٨٣ ، ٢٨٥] .

عمه فلم يصدقوه حتى أسمعهم كلامه وبراءة أخيه مما رموه به .

ومن جهلهم أن الله سبحانه شبههم فى حملهم التوراة وعدم الفقه فيها والعمل بها بالحمار يحمل أسفارا[1] ، وفى هذا التشبيه من النداء على جهالتهم وجوه متعددة :

(منها) أن الحمار من أبلد الحيوانات التى يضرب بها المثل فى البلادة .

(ومنها) أنه لو حمل غير الأسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعور بخلاف الأسفار .

(ومنها) أنهم حملوها لا لأنهم حملوها طوعا واختيارا بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لم يرفعوا به رأساً .

(ومنها) أنهم حيث حملوها تكليفا وقهرا لم يرضوا بها ولم يحملوها رضا واختيارا وقد علموا أنهم لابد لهم منها ، وأنهم إن حملوها اختيارا كانت لهم العاقبة فى الدنيا والآخرة .

(ومنها) أنها مشتملة على مصالح معاشهم ومعادهم وسعادتهم فى الدنيا والآخر[2] فإعراضهم عن التزام ما فيه سعادتهم وفلاحهم إلى ضده من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطانة .

ومن جهلهم وقلة معرفتهم أنهم طلبوا عوض المن والسلوى اللذين هما أطيب الأطعمة وأنفعها وأوفقها للغذاء الصالح ، البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل[3] ، ومن رضى باستبدال هذه الأغذية عوضاً عن المن والسلوى لم يكثر عليه أن يستبدل الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى والغضب بالرضا والعقوبة بالرحمة ، وهذه حال من لم يعرف ربه ولا كتابه ولا رسوله ولا نفسه .

وأما نقضهم ميثاقهم ، وتبديلهم أحكام التوراة ، وتحريفهم الكلم عن مواضعه ، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم الرشا ، واعتدائهم فى السبت حتى مسخوا قردة ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وتكذيبهم عيسى ابن مريم رسول الله ، ورميهم له ولأمه بالعظائم ، وحرصهم على

(١) مشار إليه فى قوله تعالى ﴿مثل الذينَ حُملُوا التَّوَرَاةَ ثم لم يحملوها كمثِل الحِمَارِ يَحْمِلَ اسفَاراً﴾ [الجمعة: ٥] .

(٢) يتحدث الدكتور سعد الدين صالح فى كتابه «العقيدة اليهودية ..» عن عقيدة البعث والحساب عند اليهود فيقول : «ومما لاشك فيه أن التوراة الحقيقية المنزلة على موسى قد اشتملت على هذه العقيدة ونادت بالإيمان بها ، ولكن التوراة الحالية خلت تماما من ذكر عقيدة اليوم الآخر والحساب والعقاب بصورة واضحة اللهم إلا بعض شذرات فى سفر دانيال تشير إشارات بعيدة إلى هذه العقيدة ، ولكن ما عليه إجماع اليهود هو أنه ليس هناك بعث بعد الموت وأن الحساب والعقاب هو فى الدنيا وحسب» ويقول : «ولكن هناك بعض الفرق اليهودية أثبتت البعث بطريقة أخرى وهى فرقة الفريسيين التى صورت البعث تصويراً دنيوياً ..» ثم يستدرك قائلاً : «ولكن هناك بعض شذرات فى سفر إرميا وسفر دانيال تشير إشارات واضحة إلى قيام الأموات من التراب ودخولهم ، إما الجنة وإما النار» [دانيال ١٢ : ٢] . وفى النهاية يقف متسائلاً ....

(٣) سفر التثنية [١١ : ٤ ، ٥ / . وقد ورد تفسير المن فى التوراة بأنه «شئ دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض» [خروج ١٦ : ١٤] وبأنه «كبِزْرِ الكُزبَرة أبيض وطعمه كرقاقٍ بعسل» [خروج ١٦ : ٣١] أما السلوى فهو طائر يشبه السمانى لذيذ اللحم كما ورد فى تفسير ابن كثير [١/٩٤ ــ ٩٧] .

قتله ، تفردهم دون الأمم بالخبث والبهت ، وشدة تكالبهم على الدنيا وحرصهم عليها ، وقسوة قلوبهم ، وحسدهم ، وكثرة سخرهم : فإليه النهاية .

وهذا وأضعافه من الجهل وفساد العقل قليل على من كذب رسل الله وجاهر بمعاداته ومعاداة ملائكته وأنبيائه وأهل ولايته ، فأى شيء عرف من لم يعرف الله ورسله ؟

وأى حقيقة أدرك من فاتته هذه الحقيقة ؟

وأى علم أو عمل حصل لمن فاته العلم بالله ، والعمل بمرضاته ، ومعرفة الطريق الموصلة إليه ، ومآله بعد الوصول إليه .

فأهل الأرض كلهم فى ظلمات الجهل والغي إلا من أشرق عليه نور النبوة ، كما فى المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : « **إن الله خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضلَّ فلذلك أقول : جف القلم على علم الله** »(1) .

ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور والضياء ، ومن لم يجبهم بقى فى الضيق والظلمة التى خلق فيها ، وهى : ظلمة الطبع ، وظلمة الجهل ، وظلمة الهوى ، وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به فى معاشها ومعادها . فهذه جملتها ظلمات خلق فيها العبد ، فبعث الله رسله لإخراجه منها إلى العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذى لا سعادة للنفس بدونه البتة فمن أخطأه هذا النور ، أخطأه حظه وكماله وسعادته وصار يتقلب فى ظلمات بعضها فوق بعض ، فمدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، وقوله ظلمة ، وعمله ظلمة ، وقصده ظلمة ، وهو متخبط فى ظلمات طبعه وهواه وجهله ، وقلبه مظلم ، ووجهه مظلم ؛ لأنه يبقى على الظلمة الأصلية ، ولا يناسبه من الأقوال والأعمال والإرادات والعقائد إلا ظلماتها .

فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش ..

بَصائِرُ أغشَاها النهارُ بضَوْئه ... ولاءمها قِطْعٌ مِنَ الليلِ مُظْلِمُ

يكاد نور النبوة يعمى تلك البصائر ويخطفها لشدته وضعفها ، فتهرب إلى الظلمات لموافقتها لها وملاءمتها إياها .

والمؤمن عمله نور ، وقوله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، وقصده نور ، فهو يتقلب فى النور فى جميع أحواله .

(1) صحيح . الترمذى فى الإيمان . باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة [٢٦٤٢] وأحمد فى المسند [٢/١٧٦ ، ١٩٧] والحاكم فى المستدرك [١/٣٠] وصحيح الجامع للألبانى [١٧٦٤] . والسلسلة الصحيحة له [١٠٧٦] والزيادة التى بين المعكوفتين استدركتها من كتب الحديث كى يستقيم المعنى ، فبدون هذه الزيادة يصبح المعنى مبتوراً .

قال الله تعالى : ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٣٥] .

ثم ذكر حال الكفار وأعمالهم وتقلبهم فى الظلمات فقال : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور : ٣٩ ، ٤٠] .

والحمد لله أولا وآخر وباطنا وظاهرا ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

تم التحقيق والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحقق

محمد على أبو العباس

المراجع

١ ـ إنجيل برنابا .
٢ ـ إظهار الحق لرحمت الله الهندى .
٣ ـ أسباب النزول للواحدى .
٤ ـ الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ـ للقرطبى .
٥ ـ الله واحد أم ثالوث للأستاذ محمد مجدى مرجان .
٦ ـ البداية والنهاية لابن كثير .
٧ ـ تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان .
٨ ـ تفسير ابن كثير .
٩ ـ تقريب التهذيب لابن حجر .
١٠ـ تاريخ الثقات للعجلى .
١١ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية .
١٢ـ الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة (الجزء الأول) بقلم أحد رهبان دير السيدة برموس فى برية أنبا مقاريوس .
١٣ـ السيرة النبوية لابن هشام .
١٤ـ سفراء النبى وكتابه ورسائله د. مختار الوكيل .
١٥ـ الصحيح المسند من أسباب النزول . لمقبل بن هادى الوادعى .
١٦ـ الضعفاء الكبير للعقيلى .
١٧ـ الضعفاء والمتركون للدارقطنى .
١٨ـ الطبقات الكبرى لابن سعد .
١٩ـ العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د. سعد الدين صالح .
٢٠ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم .
٢١ـ قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار .
٢٢ـ كتب السنة المختلفة .
٢٣ـ الكتاب المقدس (طبعة العهد المئوى ١٩٨٣) .
٢٤ـ لباب المنقول فى أسباب النزول للسيوطى .
٢٥ـ ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ للداعية أحمد ديدات .
٢٦ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى .
٢٧ـ محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن لمحمد عزت الطهطاوى .
٢٨ـ المختار فى الرد على النصارى للجاحظ .
٢٩ـ مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء لأحمد ديدات .
٣٠ـ المسيح إنسان أم إله لمحمد مجدى مرجان .
٣١ـ معجم البلدان لياقوت الحموى .
٣٢ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .
٣٣ـ المعجم الوسيط .
٣٤ـ معركة الوجود بين القرآن والتلمود د. عبد الستار فتح الله سعيد .
٣٥ـ الملل والنحل للشهرستانى .
٣٦ـ من التلمود . ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
٣٧ـ منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود .
٣٨ـ النبوة والأنبياء للصابونى .
٣٩ـ النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية لنصر بن [illegible] .
٤٠ـ نظرات فى إنجيل برنابا لمحمد على قطب .